

المكتبة القبطية على الانترنت



البيبا سنوره الثالث



[٢]

العبيد المقتديين





قائمة البنايات نوكة الثالث
بإلهام الحكومة ووزارة الثقافة (١١٧) هـ

مقدمة

هذه مجموعة محاضرات البعض منها القى في الستينات ،
والبعض في السبعينات ، في اجتماعات ومؤتمرات الخدمة .

نقدمها لكم لتكون ضمن مناهج اعداد الخدام ، وأيضاً هي
تناسب اجتماعات الخدام أيضاً ، وتصلح أن توزع كهدايا لهم في
الأعياد أو أية مناسبات أخرى .

وقد نشرنا لكم منذ شهرين كتاباً عن (التلمذة) .

وسنحاول أن ننشر إن شاء الله كتاباً أخرى عن الخدمة ، في
سلسلة يحسن أن تتابعوا حلقاتها .

والكتاب الذي بين يديك ، يتحدث عن طبيعة الغيرة المقدسة ،
وعن دوافعها وشروطها ، وأمثلة لها من الكتاب ومن سير
القديسين . كما يفرق بين الغيرة المقدسة والغيرة الخاطئة . ويشمل
موضوعات عديدة في الخدمة .

البابا شنودة الثالث

الفصل الاول :

- الغيرة نار تلتهب .
- يصلى ويبكي ويكتشبه .
- العمل الايجابي .
- الصراع مع الله .
- تشجيع الضعفاء
- التدرج معهم
- الشركة مع الله



الغيرة نار تلهب

الغيرة المقدسة هي نار متقدة في قلب المؤمن تدفعه بحماس شديد للسعى بكل الجهد لأجل خلاص الناس، وبناء الملكوت.

وكما قيل عن السيد الرب إنه : « يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تي ٢ : ٤) ... هكذا أيضاً الإنسان الذي تلهبه الغيرة المقدسة، يريد أن جميع الناس يخلصون ... وليس فقط يريد، إنما يعمل بكل قوته، وبكل مشاعره، ولا يهدأ، كما قال داود النبي :

« إنى لا أدخل إلى مسكن بيتى ، ولا أصعد على سرير فراشى ، ولا أعطى لعينيّ نوماً ، ولا لأجفاني نعاساً ، ولا راحة لصدغي . إلى أن أجد موضعاً للرب ، ومسكناً لإله يعقوب » (مز ١٣١) .

هكذا الذى تلهبه الغيرة المقدسة ، لا يهدأ ولا يستريح ،
إلى أن يجد موضعاً للرب في قلب كل أحد ، ويخلص على كل
حال قوماً (١ كور ٩ : ٢٢) .

الغيرة نار في قلب إنسان حار بالروح ، يشتعل قلبه بمحبة الله ،
ومحبة الناس ، ومحبة الملكوت . وبكل حرارة يعمل بجدية ، لكي
يحقق رغباته المقدسة ، من جهة خلاص الناس وإنتشار الملكوت .

ولذلك حسناً عندما أراد الله أن يرسل تلاميذه للخدمة ،
حل الروح عليهم مثل ألسنة من نار .

وبهذا ألهمهم للخدمة ، وصارت كلماتهم في الكرازة كلمات
نارية ، كأنها أسهم من نار ، تلهب القلب وتحرك الضمائر ،
و« لا ترجع فارغة » (إش ٥٥ : ١١) ... كلمة من القديس
بطرس الرسول في يوم الخمسين قادت ثلاثة آلاف إلى الإيمان
(أع ٢ : ٤١) . وبهذه الروح النارية ، وبهذه الغيرة المقدسة ، أتى
ملكوت الله بقوة ...

إنها النار التي قال عنها السيد المسيح : « جئت لألقى
ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت »
(لو ١٢ : ٤٩) .

إنه العمل الناري الذي بدأ يوم الخميس واستمر . وبه وقف
الرسل القديسون أمام كل قوة اليهود وكل قوة الرومان ، يشهدون
للإيمان « بكل مجاهرة ، بلا مانع » (أع ٢٨ : ٣١) « ونعمة
عظيمة كانت على جميعهم » (أع ٤ : ٣١ ، ٣٣) .

ما أجمل قول المزمور : « الذي خلق ملائكته أرواحاً ،
وخدّامه ناراً تلتهب » (مز ١٠٤ : ٤) .

فإن كنت ناراً تلتهب ، حينئذ تصلح أن تكون خادماً لله . إذ
يجب أن يكون خدّامه « حارين في الروح » (رو ١٢ : ١١) ، لأن
إلهنا نفسه قيل عنه إنه : « نار آكلة » (تث ٢٤ : ٢٤) .

إرميا النبي كذلك : كانت كلمة الله في جوفه « كنار
محرقة » ، فلم يستطع أن يهدأ ، ولم يقدر أن يسكت ، على الرغم
من كل التعب الذي أصابه (إر ٢٠ : ٩) . قال له الرب :
« هأنذا جاعل كلامي في فمك ناراً » (إر ٥ : ١٤) . وصاح
إرميا : « أحشائي أحشائي . توجعني جدران قلبي . يثن فيّ
قلبي . لا أستطيع السكوت » (إر ٤ : ١٩) .

وهوذا داود النبي يقول : « غيرة بيتك أكلتني ،

وتعبيرات معيريك وقعت على « (مز ٦٩ : ٩) .

أى أن التعبير الذى يصيبك يارب من الخطاة ، أو يصيب
كنيستك وشعبك ، كأنه وقع على أنا شخصياً . وداود شعر بهذا
فعلاً ، لما غير جليات صفوف الله الحى (١ صم ١٧ : ٢٦) . ولم
يهدأ حتى أزال ذلك العار ...

الغيرة هى حالة قلب متحمس ، متقد بمحبة الله ، يريد
أن محبة الله تصل إلى كل قلب . هو إنسان يحب الله ، ويريد
أن جميع الناس يحبونه معه ...

هو إنسان يشتعل قلبه من نحو مجد الله ونشر كلمة الله ، ويريد
أن ملكوت الله ينتشر حتى يشمل كل موضع وكل أحد . ويريد
أن الإيمان يدخل كل قلب ، ولا يفقد أحد نصيبه فى هذا
الملكوت .

الإنسان الذى يتصف بالغيرة ، يكون إنساناً متقدماً بالنار .
كلامه كالنار فى حماسه ، وصلاته كالنار فى قوتها ،
وخدمته كالنار فى فاعليتها وفى امتدادها .

بغيرته يلهب القلب ، ويشعل المشاعر ، ويقوى الإرادة ،
ويدفع السامع دفعاً نحو التوبة ونحو الملكوت ، وينخسه فى ضميره

بطريقة لا يمكن أن يقاومها ...

وبعكس ذلك هناك من يتكلمون بأسلوب فاتر لا يقنع أحداً، ولا يأتي بشمر، ولا تظهر فيه حرارة الروح .

ومن أمثلة الكلمة الباردة، توبيخ عالي الكاهن لأولاده .

قال لهم « لا يا بنى ، ليس حسناً الخبر الذى اسمع : تجعلون شعب الله يتعدون ... » . كلام لا جدية فيه ولا حزم ولا حرارة ، لذلك لم يؤثر فيهم ، وقيل بعده : « ولم يسمعوا لصوت أبيهم » (١ صم ٢ : ٢٣ - ٢٥) . وعرضوا أباهم لفضب الله عليه .

مثال آخر وهو انذار لوط لأنسبائه فى سادوم .

لم تكن فى حياته بينهم القوة التى تجعل لكلامه تأثيراً . لقد رأى شرورهم من قبل ، ولم تكن له الغيرة المقدسة على وصية الله . يكفى أنه أعطاهم بناته زوجات وصاهرهم ! لذلك عندما قال لهم « قوموا اخرجوا من هذا المكان ، لأن الله مهلك المدينة » ، لم يسمعوا ، بل يقول الكتاب « فكان كمازح فى أعين أصهاره » (تك ١٩ : ١٤) .

بعكس ذلك كان بولس الرسول مثلاً ، الذى على الرغم من أنه وقف متهماً أمام فيلكس الوالى ، يقول عنه الكتاب « وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة ارتعب فيلكس ... » (أع ٢٤ : ٢٥) . وبنفس الوضع حينما تكلم أمام أغريباس الملك ، لم يستطع هذا الملك الوثنى أن يقاوم قوة الكلام الذى كان يتكلم به بولس ، « فقال أغريباس لبولس : بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » (أع ٢٦ : ٢٨) .

الغيرة قوة فعالة ، فيها الاهتمام والجدية ، وليست فيها رخاوة .

فقد قال الكتاب « ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة » (أر ٤٨ : ١٠) . لذلك كان خدام الله المتصفون بالغيرة ، يعملون بكل جهد وقوة وبذل ولعلنا سنشرح ذلك فى الفصل الخاص (بشروط الغيرة) .

قال الرب لتلاميذه : هلم ورائى فاجعلكم صيادى الناس (متى ٤ : ١٩) .

والصياد المفروض فيه أن يبحث عن الأماكن التى يوجد فيها اسماك ، والتى يمكن فيها الصيد ، ويضع الطعم ، ويرمى

الشبكة، ويجاهد ويصبر، كما قال القديس بطرس «تعبنا الليل كله...» (لوه : ٥ : ٥). إذن المسألة فيها تعب وجهد، ولكنها تنتهى بالفرح كلما امتلأت الشبكة سمكاً.

بولس الرسول كان يسهر إلى بعد منتصف الليل يعظ (أع ٢٠ : ٧). ومعروفة قصة افتيخوس الذى نام فوق من الطاقة (أع ٢٠ : ٧).

وربنا يسوع المسيح ظل يعظ الناس طول اليوم، حتى مال النهار (لوه : ٩ : ١٢). إذن علينا أن نبذل جهداً، بكل غيرة، من أجل خلاص الناس.. كما قال الرسول عن خدمته «فى تعب وكد، فى أسهار مراراً كثيرة» (١ كو ١١ : ٢٧).

الخدام الملتهب بالغيرة، لا يكتفى فقط بالتعب، وإنما :



إنه يصلى ويقول : لتكن مشيئتك منفذة على الأرض ، كما هى منفذة فى السماء . وليأت ملكوتك ...

فلتملك يارب على قلب كل أحد . ولتملك على الشعوب وعلى الأمم ... على البلاد التي إنتشر فيها الإلحاد ، وبدأت تفقد الإحساس بوجود الله ... ولتملك على كل واحد لا يعرفك ، ولا يعرف محبتك للبشر وخلصك العجيب ..

وهناك شخص إذا إشتعلت الغيرة في قلبه ، ولم يستطع أن يعمل شيئاً ، يقف أمام الله ويبكى .

يقف أمام خريطة آسيا مثلاً ، ويبكى على مئات الملايين التي لا تعرف الله : ألف مليون شيوعي في الصين لا يعرفون الله ، وكذلك حوالي خمسمائة مليون في الهند ، وأكثر من مائتي مليون في اليابان ، و... وما أكثر الذين يعبدون براهما وبوذا وكنفوشيوس... ! حقاً أين ملكوت الله في هذه القارة التي وُلد فيها المسيح ...

متى يارب يتحقق المزمور الذي يقول : « للرب الأرض وملؤها ، المسكونة وكل الساكنين فيها ... » (مز ٢٤) ؟!

وماذا نقول أيضاً عن الهنود الحمر ، وعن القبائل البدائية في أواسط أفريقيا وفي النصف الجنوبي منها .

وان لم يتفعل من أجل الغرباء البعيدين ، فعلى الأقل يشتعل قلبه من جهة المسيحيين الذين لهم اسم المسيحية فقط ، بينما يسلكون في حياة الإباحية والمادية ، ولا صلة لهم بالله ولا بالكنيسة ، ولا يحيون حياة روحية .. ! ثم ماذا عن المسيحيين الذين يغيرون مذهبهم أو دينهم ، أو يعيشون بلا دين ... ؟ ! متى يرجع هؤلاء جميعاً إلى الله ؟ !

هنا وتملك الغيرة على القلب ، فيقول مع إرميا النبي :

« ياليت رأسي ماء ، وعينيّ ينبوع دموع ، فأبكي نهاراً وليلاً قتلي بنت شعبي » (إرميا : ٩ : ١) .

إنه يبكي نهاراً وليلاً ، على أولئك الذين قتلتهم الخطية ، والذين أضلهم الشياطين ، واختاروا طريقاً آخر ، وأصبحوا عرضة للهلاك .

هوذا داود النبي ، تملكه الكآبة ، وتملكه الدموع ، من أجل الخطاة الذين إنحرفوا فيقول في غيرته للرب :

الكآبة ملكتني من أجل الخطاة الذين تركوا ناموسك .

رأيت الذين لا يفهمون فاكتأبت ، لأنهم لم يحفظوا أقوالك .

غاصت عيناي في مجارى المياه ، لأنهم لم يحفظوا ناموسك
(مز ١١٩) .

نتذكر هنا صموئيل النبي ، حينما ناح على شاول :

لما رفض الرب شاول : « إغتاظ صموئيل ، وصرخ إلى الرب
الليل كله » (١ صم ١٥ : ١١) « ناح صموئيل على شاول ،
والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل » (١ صم ١٥ : ٣٥) .

ونتذكر هنا جهاد آباء الاعتراف لأجل أولادهم :

وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول : « أطيعوا مرشديكم
واخضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم ، كأنهم سوف يعطون
حساباً ، لكي يفعلوا ذلك بفرح غير آئين » (عب ١٣ : ١٧) .

هكذا أب الاعتراف في غيرته على خلاص أبنائه ، يبكى
لأجل الخاطيء ، ويحزن معه ، ويصوم معه ، ويداوم على المطانيات
لأجله ، ويدلل نفسه لأجل خلاصه . ويصلى لأجل كل واحد من
أولاده : يارب إرحم فلان ، يارب اغفر له وسامحه . يارب ساعد
فلان ، وانقذه من الخطية الفلانية . لا تسمح يارب أن يهلك وأن
يضيع .. يارب ، يارب ، يارب ...

طول النهار والليل ، له حزن ووجع في قلبه لا ينقطع من أجل
أبنائه بالروح . يريد أن يقول عنهم كما قال الرب للآب في
(يو: ١٧ : ١٢) .

« الذين أعطيتني حفظتهم ، ولم يهلك منهم أحد » .

الحمل الإجمالي

هنا ونتذكر أيضاً غيرة نحميا وكم عملت :

لقد سمع من بعض الإخوة أن سور أورشليم منهدم ، وأبوابها
محروقة بالنار ، وأهلها في شر وعار . فغار غيرة للرب . يقول :
« فلما سمعت هذا الكلام ، جلست وبكيت ، ونحت أياماً
وصمت وصليت أمام إله السماء وقلت : ... هم عبيدك وشعبك
الذي افتديت بقوتك العظيمة ... » (نح : ١ : ٣ ، ٤ ، ١٠) .

ولكن نحميا لم يكتف بالصلاة والنوح ، بل عمل عملاً .

لقد قرر أن يكلم الملك في هذا الأمر . لقد كان ساقياً

للملك ، وكان موقفه حساساً ، ولكنه لم يصمت . فلما سأله الملك عن سرّ كاتبه ، أجابه : « كيف لا يكمد وجهي ، والمدينة بيت مقابر آبائي خراب ، وأبوابها قد أكلتها النار؟! » وأضاف : « إذا سرّ الملك ، وإذا أحسن عبدك أمامك ، ترسلني إلى يهوذا ، إلى مدينة قبور آبائي ، فأبنيها » (نوح ٢ : ٣ ، ٥) .

وهكذا لم تكن غيرة نحميا مجرد إنفعال ، إنما كانت غيرة عملية إيجابية ببناء فسافر ، وجمع الشعب ، ونظم العمل ، وقال قوله المشهورة : « هلم فبنى سور اورشليم ، ولا نكون بعد عاراً » (نوح ٢ : ١٧) . وتحمل في سبيل البناء الكثير من المتاعب وشماتة الأعداء ، ولكنه صمد في قوة . وكان العاملون معه « باليد الواحدة يعملون العمل ، وبالأخرى يمسكون السلاح » (نوح ٤ : ١٧) إلى أن تم بناء السور في اثنين وخمسين يوماً (نوح ٦ : ١٥) وتفرغ بعد هذا للإصلاحات الروحية وقيادة الشعب إلى التوبة (نوح ٨-١٠) .

حقاً أن غيرة القلب تدفع إلى الكتابة وإلى البكاء من أجل الخطاة ، كما تدفع أيضاً إلى العمل الكرازي في قيادة الناس إلى الإيمان والتوبة . قيل عن القديس بولس لما دخل أثينا إنه :

« إحتدت روحه فيه ، إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً »

(أع ١٧ : ١٦) . لذلك كان يكلم الذين يصادفونه في السوق كل يوم ، ودخل في مناقشة مع الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين ، وتكلم أيضاً مع الأريوس باغوس ... كما تكلم في مجامع اليهود ...

وهكذا فعل أبلوس ، وهو حار بالروح :

« كان هذا خبيراً في طريق الرب . وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب ... وكان باشتداد يفهم اليهود جهرأ مبيتأ بالكتب أن يسوع هو المسيح » (أع ١٨ : ٢٥ ، ٢٨) .

هناك عمل آخر في الغيرة وهو الصراع مع الله .

الصراع مع الله

مثال ذلك الموقف العجيب الذي وقفه موسى النبي ، لما أخبره الله أنه سيهلك الشعب إذ عبدوا العجل الذهبي ... حينئذ شفع فيهم موسى بكل غيرة ، طالباً من الله أن يغفر لهم فلا يهلكوا . ووصل في حماسه أنه قال :

« لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك؟! ... والآن إن
غفرت خطيئتهم، وإلاّ فامحني من كتابك الذي كتبت »
(خر ٣٢ : ١١، ٣٢) .

أى أنه يقول : لا أريد أن أدخل الملكوت وحدي . فإما أن
تغفر هؤلاء ، وإما أن أهلك معهم إن هلكوا ، وتمحو اسمي من
كتابك الذي كتبت ...!! انظروا إلى أية درجة وصلت محبة موسى
وغيرته ، لذلك فإن الله - قبل أن يعاقب - قال له : « اتركني
ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم ، فأصيرك شعباً عظيماً »
(خر ٣٢ : ١٠) .

وأنا أقف منذهاً أمام كلمة « اتركني » يقولها الرب
لموسى ، كما لو كان موسى ممسكاً به لا يدعه يفعل ..!

تقول له : « اتركني »؟! ومن الذى يمسكك يارب؟! وما
الذى يمنعك ، وأنت الإله القادر على كل شيء؟! إنها محبة موسى
للشعب ، وغيره موسى على خلاصهم ، تمسك بالرب ، تمنعه من
إفنائهم ... هوذا موسى يقول له : إرجع يارب عن حو غضبك ،
واندم على الشر بشعبك .. إذكر إبراهيم واسحق ... « خر ٣٢ :
١٢ ، ١٣) « لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث

ليقتلهم في الجبال ، ويفنيهم عن وجه الأرض !؟ «
(خر ٣٢ : ١٢) .

هذا هو الصراع مع الله : فيه تضرع ، وشفاعة ، وفيه
منطق واقناع ، وفيه حب للناس ، وفيه إمساك بالرب
(ومنعه) عن إهلاكهم...!

كنت وأنا طفل صغير ضئيل المعلومات ، أظن أن يعقوب أبا
الآباء هو الوحيد الذى صارع مع الرب وقال له : « لا أتركك إن
لم تباركنى » (تك ٣٢ : ٢٦) . ولكن هوذا موسى يقول له أيضاً :
« لا أتركك » ...

لا أتركك يحمى غضبك على الشعب . لا أتركك تفنيهم .
لا أتركك حتى تغفر لهم وتندم على الشر...

لا بد أن تسامح . لا بد أن تغفر . وإن كنت لا تريد أن تغفر
لهم ، أمحُ اسمي من كتابك الذى كتبت ...

إنها غيرة قلب ، لا يشاء أن أحداً يهلك .

« يريد أن الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون »
(١تى ٢ : ٤) . ويصارع مع الله من أجل خلاص الكل ، حتى

الذين سجدوا للعجل الذهبى ، وقالوا : « هذه هى آهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر » (خر ٣٢ : ٤) ..!

إن غيرة موسى هذه ، تذكرنى بقول بولس الرسول :

« إن لى حزناً عظيماً ووجعاً فى قلبى لا ينقطع . فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح ، لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد » (رو ٩ : ٢ ، ٣) !

لو كان حرمانى هذا يوصلهم ، لفضلت أن أكون محروماً من المسيح ، لكى يصلوا هم إليه !! أى حب أعظم من هذا فى محيط الخدمة؟! وأية غيرة أعمق من هذه ، فى بذل الذات لأجل الآخرين . إنها محبة للناس وشفقة عليهم .

أولاد الله الذين تملكهم الغيرة لهم صراع مع الله من أجل الكنيسة ، وصراع مع الله من أجل خلاص كل نفس . إنهم يصرخون إلى الله ويقولون له :

قم أيها الرب الإله ، وليتبدد جميع أعدائك ...

وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى إسمك القدوس .

وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات
يصنعون مشيئتك .

قم أيها الرب الإله ، فإن البار قد فنى ، وقلت الأمانة من بنى
البشر (مز ١٢ : ١) . قم واعمل . لأنك رجاء من ليس له
رجاء ، ومعين من ليس له معين ، قم فإننا قد تعبنا الليل كله ولم
نصطد شيئاً (لو٥ : ٥) . أنت القوة وأنت المعين ، وبدونك لا
نقدر أن نعمل شيئاً (يو٥ : ٥) .

من الوسائل الروحية التي تعمل بها الغيرة المقدسة ، تشجيع
الخطاة حتى لا يدركهم اليأس فيفشلوا .

تشجيع الخطاة

ما أجمل وما أعمق قول القديس بولس في هذا المعنى :

« شجعوا صفار النفوس . اسندوا الضعفاء . تأنوا على
الجميع » (اتس ٥ : ١٤) .

إن أخطر سلاح يستخدمه الشيطان ، هو أن يشعر الإنسان الخاطيء بأنه لا فائدة ، وأن الخطية قد سيطرت تماماً ولا مخرج منها ! وبهذا اليأس يقوده إلى الاستسلام والبقاء حيث هو ، في وضعه الخاطيء ... بلا طريق إلى التوبة والخلاص .

أما الإنسان المملوء غيرة على خلاص النفس ، فإنه :

يفتح أمام الخطاة باب الرجاء ، ويدفعهم فيه دفعاً ...

ينفخ في الفتيلة المدخنة لعلها تشتعل ، ويعصب القصبة المرضوضة لعلها تستقيم ، ويقول لكل أحد : « لا تخف . الله سوف لا يتركك . معونة الله ستعمل معك . هناك حلول كثيرة لمشكلتك . الله لا يعجز عن حلها » . وهكذا يدفعه دفعاً كما كان الملاكان يدفعان لوطاً إلى خارج سادوم (تك ١٩ : ١٥ ، ١٦) . وهكذا يتذكر قول الرسول :

« قوموا الأيادي المسترخية والركب المخلعة » (عب ١٢ :

١٢) .

مستخدماً في ذلك كل عطف وحنو وطول أناة ... ، ويضرب الأمثلة بالذين كانت حالتهم أسوأ وأمكنهم أن يخلصوا ...

أيضاً بالفيرة يدفع الخدام إلى الخدمة بقوة ، ويشجعهم .

وهكذا كان السيد المسيح يشجع التلاميذ قائلاً لهم « لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع » (يوحنا : ١٤ : ٢٧) « ها أنا معكم كل الأيام وإلى أنقضاء الدهر » (متى : ٢٨ : ٢٥) ... « سيسلمونكم إلى مجالس ، وفي مجامعهم يجلدونكم ... فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ، لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » (متى : ١٠ : ١٧ - ٢٠) « حتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة » (متى : ١٠ : ٣٠) .

وبهذا التشجيع ، كانوا يمثلون غيرة ، ويخدمون بلا خوف .

هوذا الله يشجع ارمياء فى العهد القديم ويقول له « لا تخف من وجوههم ، لأنى أنا معك لأنقذك ... ها قد جعلت كلامى فى فمك ... هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض ... فيحاربونك ولا يقدرّون عليك ، لأنى أنا معك - يقول الرب - لأنقذك » (أرميا : ٨ : ١٩) .

وبنفس الوضع قال الرب لبولس مشجعاً :

« لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت ، لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) .

وبنفس الطريقة قام الرب بتشجيع موسى لما اعتذر بأنه ليس صاحب كلام . فقال له الرب « اذهب وأنا أكون مع فمك ، وأعلمك ما تتكلم به .. وتأخذ في يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات » (خر ٤ : ١٠ - ١٧) .

حتى أقوى الناس يحتاجون أحياناً إلى تشجيع ، كما حدث مع إيليا النبى لما هرب من إيزابل (١ مل ١٩) .

إن حرارة الغيرة إذا فترت ، فالتشجيع يشعلها .

وإن كان الأنبياء يحتاجون إلى تشجيع كما شرحنا بالنسبة إلى ارمياء وموسى وإيليا وبولس الرسول وباقي الرسل ... فكم بالأولى الخطاة فى سقطاتهم ...

إن وجدت خاطئاً عاجزاً عن التوبة لأنه يحب الخطية .

قل له : إن محبة الخطية سوف لا تستمر معك . لأن نعمة الله

ستعمل فيك وتنقذك من محبة الخطية . وسيأتى وقت تكرهها
وتشمئز منها . الله لن يترك الشيطان يحاربك طول الزمان بلا
هوادة ، فلا بد أن الله سيوقفه عند حده . فلا تخف .

يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات ، وأما أنت
فلا يقتربون إليك . بل مجازاة الخطاة تبصر (مز ٩١) .

هناك أشخاص يسيرون في حياة البر ، ويخافون من عدم القدرة
على إكمال الطريق . وهناك من قد أحاطت بهم التجارب ،
ويخشون من عدم القدرة على النجاة أو على الصمود... هؤلاء
وأولئك : اشرح لهم عمل النعمة وعمل الروح القدس . و اشرح لهم
أن الله لا يترك الإنسان بمفرده ، حتى إن ضغطت عليه التجارب
إلى حين ، فلا بد أن نعمة الله ستدركه وتنقذه .

شجعهم بقول ارمياء النبي ، لما أحاط الأعداء بالمدينة :

الذين معنا أكثر من الذين علينا (٢مل ٦ : ١٦) .

بهذا لا يخاف الخطاة وإنما يصمدون . وإلى جوار تشجيع
الخطاة ، لا بد أيضاً من التدرج معهم .

ليست الغيرة القوية هي فرض حياة الكمال على الناس ،
حتى لو كانوا لا يستطيعون السلوك فيها !

فقد حاول الكتبة والفريسيون أن يفعلوا ذلك ، فلامهم السيد
المسيح له المجد لأنهم كانوا « يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ،
ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها
بأصبعهم » (متى ٢٣ : ٤) . وكانوا بهذا يفلقون ملكوت السموات
قدام الناس . فلا هم دخلوا ، ولا جعلوا الداخلين يدخلون
(متى ٢٣ : ١٣) .

ليست الغيرة هي لوم الناس على عدم السلوك في
المثاليات ، إنما الغيرة هي مساعدتهم على السلوك فيها .

هي اعطاء قوة للضعيف ، ورجاء لليائس ، وثقة لمن يظن حياة
البر فوق مستواه . هي الأخذ بيد كل إنسان ، ورفعه إلى المستوى
الذي نريد له . وذلك بأن تثبت له أن الحياة الروحية سهلة

وممكنة، وتزِيل منه الخوف...

ولا يأتى ذلك إلا بالتدرج مع التائب والمبتدىء.

والتدرج له فى الكتاب المقدس أمثلة عديدة: منها ما قاله الرسل فى أول مجمع مقدس عقده فى أورشليم بشأن قبول الأُميين فى الإيمان. أى هؤلاء الآباء القديسون، فى حنو ورحمة وحكمة:

«أن لا يُثقل على الراجعين إلى الله من الأمم» (أع ١٥:

١٩).

«بل يُرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام، والزنا، والمخنوق والدم» (أع ١٥: ٢٠)... وهكذا لم يضعوهم أمام وصايا عديدة تجعل الطريق صعباً أمامهم.

وهكذا قال بولس الرسول أيضاً لأهل كورنثوس:

«لم استطع أن أكلمكم كروحيين، بل كجسديين، كأطفال فى المسيح. سقيتكم لبناً لا طعاماً، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون» (١ كو ٣: ١، ٢).

الغيرة المقدسة لا تعنى أن تجعل المبتدىء يجتاز الطريق الروحى كله فى فترة واحدة، فهذا غير ممكن عملياً. إنما نأخذ بيده

خطوة خطوة حتى يصل . وهكذا كلما يجد لذة في الحياة الروحية ، يشاق أن ينمو فيها ويكمل طريقه . ولا يأتي ذلك بالضغط أو بالأمر ، إنما بالنمو الطبيعي . وحسناً قال أبونا يعقوب عن غنمه الرخصة وبقره المرضعة :

« إن استكدوها ... ماتت في الطريق » (تك ٣٣ : ١٣) .

حتى السيد المسيح نفسه قال لتلاميذه « إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكنكم لا تستطيعون أن تحملوا الآن » (يو ١٦ : ١٢) ... وهكذا كان يعلن لهم كل شيء في حينه ، حينما يمكنهم أن يستوعبوا ... واستخدم الرب مبدأ « في ملء الزمان » (غل ١٤ : ٤) .

ولذلك فالغيرة لا تعنى القسوة في القيادة والارشاد .

لا تعنى تشامخ الذين يعرفون ، على الضعفاء الذين لا يقدرّون . ولا يمكن أن تعنى مطلقاً أن تطالب المبتدئ بالوصول إلى القمة ، وإلا أشبعته توبيخاً وانتهازاً باسم الغيرة المقدسة . إن لكل إنسان مستواه « كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان » (رو ١٢ : ٣) . فلا نطالب الكل بمستوى واحد باسم الغيرة . وإنما كل واحد حسب قدرته وامكانياته ومواهبه .

وربما ما لا يستطيعه الآن ، يستطيعه فيما بعد .

إذن لا تثبط همة أحد . بل شجع الكل ، وتدرج مع الصغير حتى يكبر ، ومع الضعيف حتى يقوى ، ... في غير كبرياء ، وفي غير فريسيه . كن حانياً ولا تكن جانياً . اعمل على تقوية الضعيف بدلاً من أن تنتهره ...

ومع تشجيع الخطاة والتدرج معهم ، ضع أمامك قاعدة روحية هامة في فهم هذه النقطة وهي :

المقصود هو تسهيل الوصايا ، وليس التساهل في الوصايا .

ونحن نقول في صلوات القديس الإلهي «سهل لنا طريق التقوى» . والمدرس الناجح يسهل أمام تلاميذه فهم العلوم . وهكذا الناجح يسهل طريقه تنفيذ الوصايا ، دون أن يتساهل فيها ، أي في كسرهما ... حاشا ...

لذلك فلتكن غيرتك ممزوجة بالحكمة . واذكر قول الكتاب :

« رابع النفوس حكيم » (أم ١١ : ٣٠) .

ننتقل إلى نقطة أخرى في (كيف تعمل الغيرة ؟) وهي : عملها مع الله ...

الشركة مع الله

لا يستطيع أحد أن يخلص إنساناً إلا عن طريق الله نفسه .
فتحرك القلوب وابقاظ الضمائر، هو من أعمال الله ذاته ، الذى
قال فليكن نور، فكان نور (تك ١ : ٣) ، والذى قال «بدونى لا
تقدرون أن تعملوا شيئاً» (يو ١٥ : ٥) .

لذلك فالعمل على خلاص النفس ، لا يكون إلا بالشركة
مع الله .

لذلك قال بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولس «نحن
عاملان مع الله» (١ كو ٣ : ٩) «وأنتم فلاحه الله ، بناء الله» .

لا بد أن يصل الإنسان إلى الله ، ليوصل الناس إليه .

واضرب لك مثل الحديد والمغناطيس .

المغناطيس يقدر أن يجذب الحديد . وإذا ما تمغنت الحديد ،
يمكنه أن يجذب إليه حديداً آخر . وإذا تلاقى معهما قطعة حديد

ثالثة ، تنجذب أيضاً... إذن الحديد المتلامس مع المغناطيس يمكنه أن يجذب غيره . أما غير المتلامس مع المغناطيس فلا يمكنه ذلك .

قطعة حديد وزنها طن لا يمكنها أن تجذب مسماراً ، إن كانت غير ممغنطة . ولكن مسماراً ممغنطاً يجذب إليه .

مثال آخر هو لمبة الكهرباء ، وتيار الكهرباء :

هناك لمبات كهرباء ، جميلة جداً ، وقوية جداً ، ومن نوع ممتاز ، تضيء فيفرح الناس جداً بضوئها . ولكنها في الواقع لا تستطيع أن تعطي ضوءاً مالم تكن متصلة بتيار الكهرباء . فإن انقطع عنها تيار الكهرباء ، فحينئذ باطل هو عملها ، ولا فائدة من صنفها وجمالها وقوتها ...

وهكذا باطلة كل غيرتك ، إن كانت بعيدة عن الله ، الذي هو مصدر القوة ...

وهكذا مع غيرة التلاميذ في نشر الملكوت ، قال لهم الرب : « لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعلى (لوقا : ٢٤ : ٤٩) . وأكمل ذلك بقوله « لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس

عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً» (أع ١ : ٨) . وهكذا كان .
ولم يبدأ الرسل خدمتهم إلا بعد حلول الروح القدس عليهم .

أترى كانت غيرة الرسل تكفى لنجاح الخدمة ، بدون
حلول الروح القدس عليهم؟!!

كلا بلاشك . فالخدمة كلها عبارة عن شركة مع الله ، العامل
فيها ، والعامل معنا ، والعامل بنا . « وإن لم يكن الرب البيت ،
فباطلاً يتعب البناءون» (مز ١٢٧ : ١) . إن بولس كان يغرس
وأبولس كان يسقى . لكن الله كان ينمى» (١ كو ٣ : ٦) .
ويعلق بولس الرسول على هذا الأمر فيقول «إذن ليس
الغارس شيئاً ، ولا الساقى ، بل الله الذى ينمى» (١ كو ٣ : ٧) .

افحص إذن غيرتك . هل هى عاملة مع الله؟

إن فقدت الصلة بالله ، فلن تستطيع أن توصل أحداً إليه ،
مهما كانت غيرتك . لأن «فاقد الشيء لا يعطيه» .
لابد إذن أن نحب الله ، لكى نجعل الناس يحبونه .
ولابد أن نطيع وصاياهم ، حتى نقدر أن نشرح لهم عملياً كيف
تطاع الوصايا .

حقاً أنه تواضع من الله أن يشركنا معه في عمله . ومع ذلك نحن نتكاسل !

الله قادر أن يخلص العالم كله بدوننا . ولكنه من تواضعه اشركنا معه نحن الضعفاء ونحن الخطاة ! فهل نتجاهل نعمته هذه ونتكاسل في عمله . ولا تكون لنا غيرة متقدة ، مثله .. !

هذا عجيب حقاً . والأعجب منه ، أننا أحياناً نعرقل الملكوت !

بسلبياتنا ، وبصراعاتنا في الخدمة ، وبفتورنا ، وبأخذ المفاتيح ، ولا ندخل ، ولا نجعل الداخلين يدخلون ، بمنافسات بشرية بعيدة عن روح الغيرة وروح الخدمة !!

الفصل الثاني

وواقع الغيرة

- محبة الله وملكوته .
- محبة الناس والشفقة عليهم .
- تقدير قيمة النفس الواحدة .
- أهمية عمل الخلاص .
- عوائق والرد عليها .

هناك دوافع كثيرة للغيرة المقدسة، بعضها خاص بالله نفسه وبعضها خاص بالناس، وبعضها خاص بالعمل ذاته، وبنفس الشخص.

دخول الله وملكوته

الذى يحب الله، يريد أن جميع الناس يحبونه. ويحترق قلبه بالغيرة إن وجد أناساً بعيدين عن الكل. هو يريد أن يكون الكل لله « للرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها » (مز ٢٤ : ١).

والذى يحب الله، يريد أن ملكوت الله ينتشر. ويدخل الله في كل قلب، وفي كل بيت، وفي كل مدينة. ويصرخ ليلاً ونهاراً، ومن عمق قلبه « ليأت ملكوتك ». لذلك لا يحتمل أن يوجد مقاومون لله، يحاربون ملكوته... فبكل جهده يعمل على أن يجذب الكل إلى ملكوت الله.

والذى يحب الله ، طبيعى أنه يحب أولاده... فهو يريد أن
الجميع يخلصون ، ولا يشرّد منهم أحد ، ولا يهلك منهم أحد . كل
نفس يصادفها تكون عزيزة عليه ، لأنها من أولاد الله ، الذين يجب
أن تكون لهم صورة الله ومثاله .

والذى يحب الله ، يجد لذة فى أن يفرح قلب الله .

وكيف يفرحه ؟ يقول الكتاب « يكون فرح قدام ملائكة الله
بخاطيء واحد يتوب » (لوقا : ١٥ : ١٠) . إذن إن أردت أن تفرح
قلب الله قدام ملائكة السماء ، حاول أن تقود غيرك إلى التوبة .
فيقول الله « ينبغى أن نفرح ونسر ، لأن ابنى هذا كان ميتاً
فعاش ، وكان ضالاً فوجد » (لوقا : ١٥ : ٢٢) .

كذلك الذى يحب الله ، ينفذ وصاياه .

ووصيته تقول « اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره » (متى : ٦ :
٣٣) . وماذا أيضاً ؟ إنه يقول « اعملوا لا للطعام البائد ، بل
للطعام الباقي الذى للحياة الأبدية » (يوحنا : ٦ : ٢٧) . فعلينا أن
نطلب ملكوت الله بكل قوتنا وبكل مشاعرنا ، ونقدم لأولاد الله
الطعام الباقي اللازم لأبديتهم .

حب للناس وتشقق قلبك عليهم

غيرتك على الناس تنبع من محبتك لهم ، ورغبتك في خلاصهم .

لذلك اشعرهم بمحبتك . صادقهم . أجعلهم يحبونك ، ويحبون الحياة المقدسة التي تحياها ، ويشتاقون أن يكونوا مثلك في روحياتك التي تجذبهم إليك ، وتجذبهم إلى الله . وثق أن المحبة لها مفعول كبير وقوى ...

السيد المسيح أظهر محبته للعشارين ، وكان يأكل معهم أحياناً ، بينما كان الفريسيون يحتقرونهم . ولكن محبة المسيح كانت هي الغالبة ، فكسبتهم ...

ومن محبتك للناس تشفق على مصيرهم الأبدى .

هناك آيات في الكتاب المقدس يقف الخادم أمامها مرتعباً ، مشفقاً على إخوته مثال ذلك قول الرب للهالكين ، في اليوم الأخير :

« إذهبوا عنى يا ملاعين ، إلى النار الأبدية ، المقعدة
لإبليس وملائكته » (مت ٢٥ : ٤١) .

مساكين هؤلاء الناس الذين سيذهبون إلى النار المؤبدة ،
ويكونون في عشرة إبليس وباقي الشياطين ... في المكان الذى قال
عنه سفر الرؤيا (رؤيا ٨ : ٨) :

« في البحيرة المتقدة بنار وكبريت ، الذى هو الموت
الثانى » .

هناك حيث يوجد « الخائفون ، وغير المؤمنين ، والرجسون ،
والقاتلون ، الزناة ، والسحرة ، وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة »
(رؤيا ٨ : ٨) .

ما أروع هذا المصير إن تصورنا فيه بعض إخوتنا وأصدقائنا
ومعارفنا ، أو أى أحد من البشر عموماً ... هذا المصير الذى قال عنه
الرب :

« هناك يكون البكاء وصرير الأسنان »
(مت ١٣ : ٥٠) .

« هكذا يكون فى إنقضاء العالم : يخرج الملائكة ، ويفرزون
الأشرار من بين الأبرار ، ويطرحونهم فى أتون النار... » « وكما

يُجمع الزوان ويحرق بالنار، هكذا يكون في إنقضاء هذا العالم .. «
(مت ١٣ : ٤٩ ، ٥٠ ، ٤٠).

بل ما أصعب هذه العبارة ، تخرج من فم الرب :

« إنى لم أعرفكم قط . إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » .

هكذا يقول في اليوم الأخير للذين لم يفعلوا إرادة الآب الذى
فى السموات (مت ٧ : ٢١ ، ٢٣) . وهكذا يقول أيضاً للعدارى
الجاهلات : « الحق أقول لكنّ إنى ما أعرفكن »
(مت ٢٥ : ١٢) .

كلما نتذكر الآيات الخاصة بالأبدية ، نخاف على
إخوتنا .

الآيات الخاصة بالعذاب الأبدى ، وبالظلمة الخارجية ،
وبصرخة غنى للعازر يطلب قطرة ماء يبيل بها فمه ، وهو معذب فى
ذلك اللهب (لوقا ١٦ : ٢٤) .

عندئذ تملك الغيرة على قلوبنا ، ونخاف على أولئك الذين
سيهلكون ، ويحرمون من الله وملائكته ، ويطرحون فى العذاب
الأبدى ، بلا أمل ، بلا رجاء ، بلا نهاية ...

ليست المسألة إذن مجرد غيرة على ملكوت الله ، وإنما أيضاً
هذه الغيرة تحمل داخلها محبة الله ، محبة للناس ، وإشفاقاً
عليهم من المصير الأبدى ...

محبة تسعى إلى خلاص هذه الأنفس المهددة بالهلاك الأبدى .
وكما قال القديس بطرس الرسول : « نائلين غاية إيمانكم خلاص
النفوس ، الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء ... » (١ بط ١ :
١٠ ، ٩) .

مثال بولس الرسول

إنه يقول فى محبته للناس واهتمامه بهم :

« مَنْ يَضْعَفُ ، وَأَنَا لَا أَضْعَفُ . مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لَا أَلْتَهَبُ »
(٢ كو ١١ : ٢٩) .

أى أنه لو مرض أحد ، أنا فى تجاوبى معه أصبح كأنى مريض
مثله . ولو أن أحداً عثر أو سقط فى حياته الروحية ، ألتهب أنا

بالغيرة من نحوه ، لكي أخلص هذا الإنسان الذي مات المسيح من أجله . أنقذه من الفتور ، لكي يرجع إلى حرارته الأولى ...

وكان القديس بولس يستخدم كل الوسائل التي تناسب الناس لكي يخلصهم . وفي ذلك يقول :

« إذ كنت حراً ، استعبدت نفسي للجميع ، لأربح الكثيرين » « صرت لليهود كيهودي ، لأربح اليهود . وللذين تحت الناموس ، كأني تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس » .

« صرت لكل كل شيء ، لأخلص على كل حال قوماً » (١ كور ٩ : ١٩-٢٢) .

إنه كفاح لأجل الناس . يلتبس فيه الرسول كل الوسائل المناسبة لخلاصهم . المهم أن يخلصوا ، بكافة الطرق .

وكما يقول القديس يهوذا الرسول : « وارجحوا البعض مميزين ، وخلصوا البعض بالخوف ، محتطفين من النار ، مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد » (يه ٢٢ ، ٢٣) . المهم أن تعمل عملاً ، ولا تقف تتفرج .



نحن لا نستطيع الفرجة على العالم وهو يهلك !

بل لا بد أن نعمل عملاً من أجله ، مادام بإمكاننا أن نعمل ...
لا يمكنك أن تبصر ناراً تحرق بيتاً وتقف تتفرج . ولا يمكنك أن
تبصر أعمى سيقع في حفرة ، وتقول مع قايين : « أحارس أنا
لأخي » (تك ٤ : ٩) انظر ، هوذا القديس يعقوب الرسول يقول :

« مَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا ، وَلَا يَفْعَلُ ، فَتِلْكَ خَطِيئَةٌ
لَهُ » (يع ٤ : ١٧) .

ما تعرف أن تعمله ، إعمله . وإن كنت لا تعرف ، إسأل
الذين يعرفون ، أو حوّل الخدمة إلى الذين يعرفون . ولا تقف في
سلبية كاملة . فالسلبية لا تتفق مع المحبة ، ولا مع الغيرة ... كأن
خلاص الناس لا يعنيك !!

★ ★ ★

قيمة النفس الواحدة

الإنسان المشتعل بالغيرة المقدسة على خلاص الناس ،
يقدر قيمة النفس البشرية ، أية نفس ...

إنه يقدر قيمة النفس الواحدة ، التي مات المسيح لأجلها ،
مثلما سعى الراعى الصالح وراء خروف واحد ضال ، حتى وجده
فحمّله على منكبيه فرحاً (لو ١٥) .

ومثال ذلك سعى الرب لخلاص المرأة السامرية .

سار من أجلها مسافة طويلة ، وهو متعب وجوعان وعطشان ،
لدرجة أن الكتاب يقول عنه « وإذ كان قد تعب من السفر ،
جلس هكذا على البئر ، وكان وقت الساعة السادسة »
(يو : ٤ : ٦) . ولعل أحدهم يسأل : ولماذا هذا التعب كله ؟ ! إنها
امرأة خاطئة وفاسدة . ولكن الرب يجيب : ولكنها ابنتى . وقد
جئت لأدعو الخاطئة وليس الأبرار إلى التوبة .

ولما دعاه تلاميذه إلى الطعام ، قال لهم « لى طعام لآكل لستم

تعرفونه أنتم... طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى» (يوحنا : ٤ : ٣٢ ، ٣٤) .

طعامى هو هذه النفس ، التى اتغذى بخلاصها .

بخلاصها اشبع وأرتوى واستريح . ذلك لأنه فى انشغاله بخلاص هذه المرأة ، أهمل الأكل وهو جوعان ، وأهمل الشرب وهو عطشان . ولم يهتم براحته وهو مرهق ومتعب . كان كل تفكيره هو كيف يخلص هذه المرأة ، وكيف يخلص السامرة...

هذه هى الغيرة الحقيقية على خلاص النفس .

إن المسيحية لم تركز اهتمامها على الجماهير فحسب ، وإنما اهتمت أيضاً بكل نفس على حدة .

فالمحبة لا تسمح أن يتوه الفرد وسط زحمة الجماهير . بل كل إنسان يشعر أن الله يهتم به اهتماماً خاصاً ، والكنيسة تهتم به اهتماماً خاصاً .

كان السيد المسيح يعمل وسط الجماهير، مثلما فعل فى العظة على الجبل ، وتحدث إلى الجميع . وكذلك فى معجزة الخمس الخبزات والسمكتين ، كان الرجال الذين يسمعونهم خمسة آلاف ...

ولكن السيد المسيح وسط زحمة الناس ، اهتم بزكا

كانت الجموع تزحمة . ومع ذلك التفت السيد إلى زكا ،
باهتمام خاص ، وناداه بإسمه ، ودخل بيته ، وقال : « اليوم حدث
خلاص لأهل هذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن لابراهيم » (لوقا :
١٩-١) . وعلل السيد المسيح اهتمامه بزكا قائلاً « لأن ابن الإنسان
قد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك » (لوقا : ١٩ : ١٠) .

فهل أنت مثله : تطلب وتخلص ما قد هلك ؟

أهمية تخلص النفوس

الذي يدرك أهمية توصيل خلاص المسيح إلى الناس . ، يلتهب
قلبه بالغيرة للمساهمة في هذا العمل العظيم الذي قال عنه القديس
بطرس الرسول :

« نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس » (١ بط : ١ : ٩) .

واستطرد الرسول قائلاً « الخلاص الذي فتش وبحث عنه

أنبياء...» (١ بط ١ : ١٠) . ويقول القديس بولس الرسول
« كيف ننجو نحن ، إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره » (عب ٢ :
٣) .

وقد اعتبر السيد المسيح أن من يجاهد في هذا المجال ، إنما
يعمل معه . فقال :

« من لا يجمع معي فهو يفرق » (متى ١٢ : ٣٠) .

فهل أنت تجمع مع المسيح أم أنت تفرق ؟

هل أنت تجمع هذه النفس الضائعة ، وتحملها على منكبيك
فرحاً ، لتضمها إلى الملكوت ؟ إن الله يريد مثل هؤلاء الذين
يجمعون معه ، لأن الحصاد كثير والفعلة قليلون . لذلك أمرنا الرب
أن نجعل هذه الطلبة جزءاً من صلواتنا ، فقال :

« اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده »
(متى ٩ : ٣٨) .

فهل تكون أنت من هؤلاء الفعلة ؟ تسمى جاهداً لكى تهيب
مكاناً للرب في قلب كل إنسان ، واضعاً أمامك أن العالم له
كثيرون يخدمونه ، بل يتنافسون في خدمته . أما الذين يخدمون عمل

الرب فهم قليلون . وحتى إن وُجد أحياناً كثيرون ، قد لا تكون نوعيتهم صالحة .

إن خلاص النفس أهم عند الله من عمل الخلق :

لأنه ما فائدة الخليقة ، إن كانت تذهب إلى جهنم؟! ولعلنا نتذكر أن عمل الخلق لم يكلف الله سوى اصدار أمر، كقوله مثلاً «ليكن نور» فكان نور (تك ١ : ٣) . أما عمل الخلاص فقد كلفه التجسد واخلاء الذات ، والآلام والصلب والموت وكل ما استلزمه عمل الكفارة والفداء...

وهكذا كانت راحة الرب بعد تخلص العالم من الخطية والموت ، أهم من راحته بعد عملية الخلق . فكان الأحد أهم من السبت . واصبح هو يوم الرب .

العمل في خلاص النفس ، أهم من معجزة اقامة ميت .

بل هو اقامة ميت . ولكنه اقامة الروح الميتة ، التي هي أهم من إقامة الجسد الميت . ألم يقل الأب في رجوع الابن الضال «ابنى هذا كان ميتاً فعاش . وكان ضالاً فوجد» (لوقا ١٥ : ٢٤) . وفي هذا المجال قال القديس يعقوب الرسول :

«من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا» (يع ٥ : ٢٠).

إن الشيطان يبذل كل جهده، ليقود النفوس إلى الموت، بكل الحيل والاعترافات، وبكل الشباك المنصوبة... أفلا نقف من الناحية المضادة، لكي نخلص النفوس من الموت. ونكون في هذه الحالة عاملين مع الله، كما قال القديس بولس (١ كو ٣ : ٩).

هذا العمل من أهميته، هو عمل الله والملائكة والقديسين.

إنه عمل الرسل والرعاة والمعلمين، وعمل كل رتب الكهنوت، وعمل جميع الخدام في كرم الرب، وعمل أرواح الأبرار في شفاعاتهم. الكل يعملون لأجل ملكوت الله وانتشاره، ومن أجل خلاص كل نفس. بل هو عمل مطالب به كل أحد على قدر امكانياته. وفي هذا يقول القديس يعقوب الرسول :

من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فتلك خطية له،
(يع ٤ : ١٧).

إذن فكل ما تستطيع أن تعمله لأجل الملكوت، إعمله، واثقاً أن الله يعمل معك. وإن لم تعمل، فتلك خطية تحسب عليك...

ولعل من أهمية هذا العمل ، المكافأة الموضوعه لأجله .

انظروا إلى الآباء الرسل مثلاً ، يقول لهم السيد الرب «متى
جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على إثني
عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر» (متى ١٩ :
٢٨) .. فإن قلت إن درجة الرسل درجة عظيمة ، أقول لك أمامك نبوءة
دانيال النبي عن كل العاملين في هداية الخطاة . وقد رود فيها :

**«الفاهمون يضيئون كضياء الجلد . والذين ردوا كثيرين
إلى البر ، كالكوكب إلى أبد الدهور» (د ١٢ : ٣) .**

يضيئون كالكوكب ... ما أعظم هذا المجد . ولهذا نجد الرب
في بداية سفر الرؤيا ، وقد رآه يوحنا في وسط المنائر السبع التي هي
السبع الكنائس ، وفي يده اليمنى سبعة كواكب هي ملائكة
الكنائس السبع (رؤ : ١٣ ، ١٦ ، ٢٠) .

ومن أهمية خلاص النفس ، أنه سبب فرح للرب .

ففي قصة الخروف الضال ، نجد أن الرب لما وجدته «حمله على
منكبيه فرحاً» (لوقا : ١٥ : ٥) . وفي قصة الابن الضال ، لما رجع
ذبح الأب العجل المسمن وأقام وليمة وقال لعبيده نأكل ونفرح ...

فابتدأوا يفرحون» (لوقا : ٢٣ ، ٢٤) . وقال للأخ الآخر « كان ينبغي أن نفرح ونسرّ، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد» (لوقا : ٢٣) . وفي مثل الدرهم المفقود، يقول الكتاب إن الأرملة لما وجدت الدرهم، لم تفرح وحدها، وإنما دعت الصديقات والجارات قائلة افرحن معي لأنى وجدت الدرهم الذى أضعته (لوقا : ١٥) .

فإن كنت قد أحزنت الله قبلاً بخطاياك ، حاول أن تفرحه الآن بتوبتك ، وبسعيك لخلاص الآخرين .

وإن كان يحدث فرح فى السماء «بخاطيء واحد يتوب» (لوقا : ١٥) ، فكم يكون الفرح بمن يردون كثيرين إلى البر؟ أليس عملاً عظيماً أن تفرح قلب الله وقلوب ملائكته ، وتعوض الله عن السنين التى أكلها الجراد (يوء ٢ : ٥) فى حياتك وحياة الناس ...

إن ابانا ابراهيم أقام حفلة لثلاثة (تك ١٨) ... أما أنت فتقيم حفلة لكل ملائكة السماء بغيرتك المقدسة التى تساهم فى خلاص آخرين ، وفى هدايتهم وانقاذهم من الخطية ، أو من الجهل والإلحاد والاباحية ...

عوائق أمام التربية

هناك عوائق قد يضعها البعض أمام الخدمة، تمنعه من أن يلتهب بالغيرة المقدسة... والعجيب أن هذه العوائق يلبسها ثوباً روحياً، حتى يستريح ضميره وهو بعيد عن الغيرة وعملها. فما هي هذه العوائق؟

١ - قد يعتذر البعض بأن اهتمامه بخلاص نفسه، لا يعطيه فرصة للاهتمام بخلاص الآخرين.

ونحن نقول إنه لا تعارض. فمن ضمن الأشياء التي تساعدك على خلاص نفسك، أن تكون لك محبة نحو الآخرين وخلاصهم. إذ كيف تخلص، إن كنت لا تحب غيرك، ولا تبذل لأجله؟! ولا أقصد بذلك أن ترتقى فوق ما ينبغي (رو ١٢ : ٢)، وتقيم نفسك واعظاً ومعلماً لكل أحد، وأنت لا تعرف!! بل ترتقى إلى التعقل، في حدود إمكانياتك، وفي حدود مواهبك...

والذي لا تستطيع أن ترشده، صلّ لأجله...

والصلاة من أجل خلاص الناس ، من الأمور الممكنة لكل أحد ، ولا تحتاج إلى مواهب وقدرات...! صارع مع الله في هذا الأمر، وضع نفسك أيضاً مع الذين يحتاجون إلى خدمة وإلى صلاة...

نقول أيضاً أن هناك فرقاً بين الراهب الذي اغلق على نفسه في حياة وحدة وصمت وعبادة، وبين الإنسان الذي يعيش في العالم، ويشعر بما يحتاج إليه الناس، ولا يستطيع أن يغلق احشائه أمامهم (أيو ٣ : ١٧).

٢ - وقد يعتذر البعض بأن الغيرة تفقده وداعته وتواضعه :

كما لو كانت الوداعة أن يكون الإنسان راكداً لا يتحرك، أو أن يكون بارداً لا يسخن أبداً!! هل فقد القديس بولس الرسول وداعته حينما احتدت روحه فيه لما رأى مدينة أثينا مملوءة أصناماً (أع ١٧ : ١٦). إنه تصرف في غيرة مقدسة، وفي نفس الوقت ظل محتفظاً بوداعته.

والسيد المسيح الذي نتعلم منه الوداعة والتواضع (متى ١١ : ٢٩)، بكل غيرة مقدسة قتل جبلاً وطهر الهيكل... وبنح الناس،

واخرج البهائم ، وقلب موائد الصيارفة . وقال لهم « بيتى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصووس (متى ٢١ : ١٢ ، ١٣) .

إن الحياة الروحية ليست حياة سلبية ، إنما هي قوة ايجابية تتكامل فيها الفضائل ولا تتعارض ولا تتناقض .

فيمكن أن يكون الإنسان عنده التواضع والوداعة ، وفي نفس الوقت عنده الغيرة والشجاعة والحزم . ويستخدم كل فضيلة من هذه الفضائل في وقتها المناسب ، وبأسلوب لا يتعارض مع الفضائل الأخرى . كالأب الذى يعطى ابنه الحنان حيناً ، والتأديب في حين آخر ، دون أن يتناقض مع نفسه .

وكمثال للغيرة والوداعة معاً ، نذكر داود النبي .

كان داود النبي وديعاً بلا شك ، إذ قيل في المزمور « اذكر يارب داود وكل دعته » . ومع ذلك قيل في نفس المزمور إن داود « نذر لإله يعقوب : إني لا ادخل إلى مسكن بيتى ، ولا اصعد على سرير فراشى ، ولا اعطى لعيني نوماً ، ولا لأجفاني نعاساً ... إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب » (مز ١٣٢ : ٣) . وهذا هو

عمق الغيرة المقدسة يتمشى مع الوداعة ...

وكمثال آخر للغيرة والوداعة معاً، نذكر أيضاً موسى النبي :

من جهة الوداعة، قيل عن موسى النبي « وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عدد ١٢ : ٣) . وموسى هذا الوديع، لما رأى الشعب يعبد العجل الذهبى، بكل غيرة أحرق هذا العجل وسحقه وذرى ترابه، وانتهر هارون رئيس الكهنة (خر ٣٢ : ١٩ ، ٢٠) .

٣ - وقد يعتذر البعض بأنه لم يُدع إلى الخدمة :

ونحن نقول في ذلك إن التكريس الكامل للخدمة ، لا شك يحتاج إلى دعوة، كالكهنوت مثلاً، إذ قال الرسول : « لا يأخذ أحد هذه الوظيفة (أو هذه الكرامة) من نفسه، بل المدعو من الله كما هرون أيضاً » (عب ٥ : ٤) .
ومثل ذلك أيضاً النبوة والرسولية ...

هناك أشخاص يدعوهم الرب لخدمته دعوة واضحة، مثل دعوته لموسى النبي (خر ٣)، ودعوته لإشعياء (إش ٦)، ودعوته

لإرمياء (إر ١) ، ودعوته لصموئيل (١ صم ٣ : ١٠) . وبالمثل دعوة الرب للإثنى عشر تلميذاً (مت ١٠) .

على أن هناك نوعاً آخر ، يجد نفسه ملتهاً بحبة الخدمة إلتهاً لا يملك له مقاومة . ويكون هذا الإلتهاً الداخلي دعوة إلهية بعمل النعمة فيه . ويكون قد حرّكه الرب من الداخل .

ويشترط في ذلك ، أن يكون الغرض سليماً ، وأن تكون الوسيلة روحية ، ولا يكون الخادم في خدمته مستقلاً عن الكنيسة ...

مثل هذا الشخص ، حتى لو أخطأ في وسيلته ، يصلح له الرب هذه الأخطاء أثناء الطريق ، ويرسل له مَنْ يعلمه ، بشرط سلامة الهدف والبعد عن التمرکز حول الذات ...

وهكذا تكون الغيرة المقدسة عملاً من أعمال النعمة داخل القلب والغيرة في حد ذاتها لا تحتاج إلى دعوة ، بل هي شعور مقدس ينبغي أن يكون في قلوب الكل .

إنما الصورة التي تتخذها هذه الغيرة في العمل ، هي التي قد

تحتاج إلى دعوة في بعض الأحيان . والذي يعيش تحت إرشاد أب روحى ، يمكن لهذا الأب أن يرشده فيما يعمل . وهكذا تكون غيرته ويكون عمله تحت إرشاد وإشراف .

هناك حالات تعتبر دعوة بحكم الوصية ، أو بحكم المحبة الأخوية :

هل إذا كنت سائراً ، ومررت بغريق ، أو بمبنى فى حريق ، أو أعمى فى الطريق ... هل تحتج عن ارشاد الأعمى ، أو انقاذ الغريق ، أو الاتصال بالمسؤولين لاطفاء الحريق ... بحكم أنه لم تصلك دعوة؟! كلا بلاشك . لأن القلب الملهب بالمحبة ، يلهب بالغيرة للانقاذ . وتكون كلمة الدعوة هنا مجرد شكليات ... فالدعوة التى فى داخل القلب هى فوق الرسميات ...

وهنا نذكر مثال السامرى الصالح (لو ١٠) :

هل احتج هذا السامرى بأنه لم يتلق دعوة ، أو بأنه ليست له وظيفة رسمية مثل الكاهن واللاوى؟! أم أنه لما رأى الجريح «تحنن، وتقدم وضمد جراحاته...» (لو ١٠ : ٣٣ ، ٣٤) . هكذا فى كثير من أنواع الخدمة . وهنا نذكر ضمناً :

٤ - البعض قد يقول ان العمل الروحي هو مسئولية رجال الأكليروس على مختلف درجاتهم ، ولا شأن لى بذلك .

نعم ، إنها مسئولية الاكليروس . ولكن رجال الأكليروس لا يستطيعون أن يعملوا وحدهم ، ولا بد من تعاون الكل معهم . كما أن منهج القاء المسئولية على الغير، إنما يتجاهل المسئولية الشخصية النابعة من الحب ، ومن الخوف على الناس من الهلاك . هل مسئولية الآخرين تعفيك من عمل المحبة ، إن كان فى مقدرتك ؟!

لذلك اهتم بسلامة أخوتك . واعمل كل ما تستطيع لكى تربح نفوساً للرب . وإياك أن تردد عبارة قاين القائل .

«أحارس أنا لأخى» (تك ٤ : ١٩) ...

نعم أنت حارس لأخيك . تحرسه بالحب والرعاية . تحرسه بقلبك وبلسانك ، وبجهدك وبصلواتك ، وبتعبك وذلك من أجله . لا تترك واحداً من أخوتك يضل ، إن كان بإمكانك أن تنقذه . لأن الله سوف يطالبنا بأنفس أخوتنا فى اليوم الأخير . وبخاصة الذين لم يجدوا أحداً يقف إلى جوارهم ، الذين نصلى عنهم فى تحليل نصف الليل ونقول : اذكر يارب العاجزين والمنطرحين ، والذين ليس لهم أحد يذكرهم » ...

مؤمن بالله

١- غيرة حسب المعرفة .

٢- تصحبها السيرة الصالحة .

٣- غيرة قوية وشجاعة .

٤- وسائلها مقدسة .

٥- غيرة مشمرة .

ليست كل غيرة، هي غيرة مقدسة، فهناك ألوان خاطئة من الغيرة، منها الغيرة التي ليست حسب المعرفة، والغيرة غير المتدينة والغيرة غير المثمرة، والغيرة الهدامة، والغيرة الشتامة..و لذلك نذكر من شروط الغيرة المقدسة أن تكون.

١- غيرة حسب المعرفة

قال بولس الرسول ينتقد الغيرة الخاطئة التي لبنى اسرائيل :
«اشهد أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة»
(رو ١٠ : ٣).

إذن هناك غيرة خاطئة. فما هي؟ وما أسبابها ومظاهرها؟
ولعله من أهم أمثلة هذه الغيرة الخاطئة:

١ - غيرة شاول الطرسوسي في اضطهاده للكنيسة المقدسة:

وهو قال عن نفسه «من جهة الغيرة: مضطهد للكنيسة»
(في ٣ : ٦) . وقال أيضاً «أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً
ومفترياً . ولكننى رُحمت ، لأنى فعلت ذلك بجهل فى عدم إيمان»
(١تى ١ : ١٣) . كان بنية طيبة يضطهد المسيحية ، فى جهل
بالإيمان السليم . وهكذا قال لليهود «وكنتم غيوراً لله كما أنتم ...
واضطهدت هذا الطريق حتى الموت ، مقيداً ومُسلماً إلى السجون
رجالاً ونساء» (أع ٢٢ : ٣ ، ٤) .

ومن أمثلة الغيرة التى ليست حسب المعرفة أيضاً :

٢ - غيرة اليهود ورؤسائهم ضد الأثنى عشر وبولس
الرسول :

وفى ذلك يقول الكتاب «فقام رئيس الكهنة وجميع الذين
معه ، الذين هم شيعة الصدوقيين ، وامتلاًوا غيرة ، وألقوا أيديهم
على الرسل ، ووضعوهم فى سجن العامة» (أع ٥ : ١٧) .

وقيل أيضاً «فلما رأى اليهود الجموع ، امتلاًوا غيرة ، وجعلوا
يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين» (أع ٣ : ٤٥) . ولما بدأ
بولس وسبلا التبشير من بيت ياسون فى تسالونيكى ، يقول سفر

الأعمال « فغار اليهود غير المؤمنين ، واتخذوا رجالاً أشراراً من أهل السوق ، وتجمعوا وسجسوا المدينة ، وقاموا على بيت ياسون طالبين أن يحضروهما للشعب » وقالوا إنهما « يعملان ضد أحكام قيصر ، قائلين إنه يوجد ملك آخر هو يسوع . فازعجوا الجمع وحكام المدينة إذ سمعوا هذا » (أع ١٧ : ٥ - ٧) .

وهنا نجد غيرة ، ليست حسب المعرفة ، مصحوبه بالادعاء الكاذب ، وبالسجس ، ومقاومة الإيمان ، ومحاولة الإيذاء ...

ولكنها غيرة ، وراءها دافع ديني ، يظن أصحابها أنهم يقومون بعمل مقدس . بينما هم يسرون ضد الحق ، ويستخدمون وسائل خاطئة وأكاذيب . ولعل من هذا النوع أيضاً ما قاله السيد المسيح لتلاميذه :

٣ - « تأتي ساعة ، فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » (يو ١٦ : ١) .

ويدخل في هذا البند كل تاريخ الاضطهاد اليهودي للمسيحية ، وأيضاً الاضطهاد الروماني ، وأنواع الاضطهادات

الأخرى عبر الأجيال ، حيث يقول السيد المسيح « سيسلمونكم إلى مجالس ، وفي مجامعهم يجلدونكم ، وتساقون أمام ملوك وولاة من أجل » « وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي » (متى ١٠ : ١٧ ، ١٨ ، ٢٢) ... ومن أمثلة هذه الغيرة الخاطئة أيضاً :

٤ - نذر الصوم الذي نذره اليهود حتى يقتلوا بولس :

إذ حدث أن أكثر من أربعين شخصاً من اليهود صنعوا تحالفاً « وحرموا أنفسهم قائلين إنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس » (أع ٢٣ : ١٢) . وهذا بلاشك نوع من النذر الخاطيء ومن الغيرة الخاطئة .

وهناك أمثلة من الغيرة الخاطئة ، التي وقع فيها بعض الرسل والأنبياء ، نذكر من بينها :

٥ - غيرة بطرس الرسول في قطع أذن العبد :

ففي أثناء القبض على السيد المسيح تملكته الغيرة بدافع من الرجولة والحب ، وهكذا «مد يده واستل سيفه ، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع : ردّ سيفك إلى مكانه ،

لأن كل الذين يأخذون بالسيف ، بالسيف يؤخذون » (متى ٢٦ : ٥١ ، ٥٢) . غيرة بطرس هنا ، كان دافعها طيباً ، ووسيلتها خاطئة .

٦ - تشبه هذه الغيرة الخاطئة ، غيرة موسى النبي أولاً :

في أول عهده ، قبل أن يروضه الله على الوداعة والحلم ، حدث أن موسى لما كبر « أنه خرج لأخوته لينظر في أفعالهم ، فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من أخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أنه ليس أحد ، فقتل المصري وطمره في الرمل » (خر ٢ : ١١ ، ١٢) ... كانت غيرة بقصد طيب ، وهو الدفاع عن المظلوم . ولكن وسيلته كانت خاطئة ، استخدم فيها العنف والقتل .

٧ - ومن أمثلة الغيرة الخاطئة أيضاً غيرة يعقوب ويوحنا الرسولين ، لما رفضت إحدى قرى السامرة قبول الرب ، فقالا له :
أتريد يارب أن تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم ،
كما فعل إيليا » (لوقا ٩ : ٥٢ - ٥٤) .

لذلك انتهرهما الرب وقال لهما « لستما تعلمان من أي روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل

ليخلص». إنها غيرة دافعها الحب والاحترام للمعلم الصالح
والسيد الرب. ولكنها كانت خاطئة من جهة الوسيلة والانتقام
للنفس...

٨ - ومثالها أيضاً غيرة يشوع لمعلمه موسى النبي :

عرف أن ألداد وميداد يتنبآن في المحلة. فغار يشوع لنبوة
معلمه، واستأذن في أن يردعهما، فعاتبه موسى قائلاً «هل تغار
أنت لي؟ يا ليت كل شعب الله كانوا انبياء إذا جعل الله روحه
عليهم» (عد ١١ : ٢٩).

لكل هذا نضع أمامنا قول الرسول لأهل غلاطية :

«حسنة هي الغيرة في الحسنى» (غل ٤ : ١٨).

من صفات الغيرة المقدسة أيضاً أنه لا بد :

٢ تصحبها ميرة صالحة

إن الغيرة المقدسة لا تؤثر في الناس، ما لم تصحبها حياة
صالحة تكون قدوة لهم ومثالاً.

وهكذا نجد أن بولس الرسول كان ملتهباً بالغيرة لخلاص النفوس . وفي نفس الوقت يقول لهم « اطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بى » (١ كور ٤ : ١٦) . وقال أيضاً « كونوا متمثلين بى ، كما أنا أيضاً بالمسيح » (١ كور ١١ : ١) . وهو يطوب تلميذه تيموثاوس على أنه سار بنفس سيرته ، فيقول له « وأما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى » (٢ تي ٣ : ١٠) .

حقاً إن العين تتأثر في الروحيات أكثر من الأذن .

فما يراه الناس في حياتك وفي قدوتك ، يؤثر فيهم أكثر مما يسمعون من عظاتك وارشاداتك . ووصية الله التي تدافع أنت عنها بغيرة شديدة ، إن لم تكن منفذة في حياتك ، فباطلة هي كل غيرتك في الدفاع عنها .. !

فلا بد أن نحب الله ، لكي نجعل الناس يحبونه .

لا بد أن نقدم لهم الحياة ، وليس مجرد الارشاد . نقدم الوصية في الحياة العملية ، وليس في مجرد تعليم نظرى . يلمس الله قلوبنا أولاً ، وحينئذ تستطيع قلوبنا أن تؤثر في قلوب الناس ...

وحذار أن نكون مجرد علامات في الطريق الروحي .

الذى يسير في الطريق الصحراوي من القاهرة إلى
الأسكندرية ، يرى علامات في الطريق ترشده إلى الأسكندرية ،
وكم بقى من الكيلومترات عليها . هذه العلامات ترشد إلى
المدينة ، دون أن تدخلها . فلا تكن مثلها : ترشد الناس إلى الحياة
مع الله ، دون أن تحيا أنت معه .

**لا تكن كالأجراس التى تدعو إلى دخول الكنائس ، ولا
تدخل هى مطلقاً إليها .**

لا تقف في الطريق ترشد الناس إلى الاتجاه السليم الذى
يتبعونه لكى يصلوا إلى الله . إنما سر في الطريق ، أو أركض نحو
الله . والذين يريدون فليسيروا معك وليركضوا لكى يصلوا . ولا
تكف بأن تكون علامة مرشدة .

الكتبة ورؤساء الكهنة كانوا أيضاً علامات في الطريق .
ارشدوا المجوس إلى بيت لحم حيث ينبغى أن يولد المسيح .
فتشوا فى الكتب . وقالوا « هكذا مكتوب بالنبي ... » (متى ٢ :
٥ ، ٦) . وذهب المجوس إلى بيت لحم ورأوا المسيح ، وسجدوا له

وقدموا له هدايا. أما الكتبة الذين ارشدوهم ، فلم يذهبوا ، ولا رأوا ولا قدموا هدايا... !

نحن نريد اشخاصاً وصلوا إلى الله ، لكي يوصلوا الآخرين معهم ...

نريد اشخاصاً رأوه ولمسوه وذاقوه وأحبوه واختبروا حلاوة الحياة معه ، لكي يقولوا للناس «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤ : ٨) . أو على الأقل تكون لهم خبرة السامرية حينما رأت المسيح وتحدثت معه ، ثم قالت للناس «تعالوا وانظروا...» (يو ٤٩ : ٢٩) .

إن كنت لم تأكل من المن ، فكيف تستطيع أن تصف طعمه للناس؟! .

وإن كان قلبك خالياً من الله ، فكيف تدعو الناس إلى محبته؟! وإن كانت عينك جافة ، فكيف تحدثهم عن الدموع؟! وكيف تشرح حياة الانتصار ، إن كنت لا تزال ساقطاً في الخطية؟! كيف ستكون لكلماتك قوة لكي تؤثر في غيرك . استمع إذن إلى قول السيد الرب :

« ومن عمل وعلم ، فهذا يدعى عظيماً في ملكوت
السموات » (متى ٥ : ١٩) .

وجعل الرب العمل يسبق التعليم . وبنفس الأسلوب كتب
بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس يقول له : « لاحظ نفسك
والتعليم ، وداوم على ذلك . لأنك إذا فعلت هذا ، تخلص نفسك
والذين يسمعونك أيضاً » (١ تي : ٤ : ١٦) . وهكذا أمره أن يلاحظ
نفسه قبل التعليم ...

اقتن ثمار الروح ، فيذوق الناس ثمرك ومحبونه .

وبدلاً من أن تحدثهم عن « المحبة والفرح والسلام » وبقية
الثمار (غل ٥ : ٢٢) . اجعلهم يرون ثمار الروح في حياتهم . قدم
لهم المسيحية - بقدرتك - كحياة فرح وسلام ...

لأنه من العثرات التي تحدث أحياناً ، أن بعض الخدام يظنون
أن الجدية في الحياة الروحية ، معناها أن يعيشوا في عبوسة دائمة .
لا يضحكون ، ولا حتى يتسمون ، ويتكلمون في شدة وحزم .
وهكذا يعثرون الناس الذين يرونهم فيقولون في نفوسهم :

هل إذا سرنا في طريق الله ، نتحول إلى هذه الصورة؟!

وهل حياتنا مع الله معناها أن نعيش في كآبة دائمة، رافعين
أمامنا هذا الشعار «بكآبة الوجه يصلح القلب» (جا ٧ : ٣).

وهل هذا هو المفهوم السليم لهذه الآية؟
أما إن رأوك إنساناً قديساً وباراً، ومع ذلك فأنت سعيد
«تفرح في الرب كل حين» (في ٤ : ٤)، في سلام قلبي،
تتحدث مع الناس في بشاشة وبغير تأزم... فحينئذ يتشجعون ويحبون
الحياة الروحية ولا يخافونها...

إن نقاوة السيرة تجعل الغيرة لها ثمر.
نقطة أخرى في شروط الغيرة المقدسة، تنبع أيضاً من السيرة
الصالحة وهي أن تكون الغيرة:

٣ بناءة وليست هدامة

يظن البعض أن الغيرة المقدسة هي ثورة لأجل الإصلاح.
وأن هذه الثورة تكون بالصخب والضجيج والشتائم
والتحطيم...!

وفي الواقع أن هذه غيرة ولكن بغير تدين... غيرة خالية من الروحانية، ونخالية من الحكمة الإلهية.

ويوبخها القديس يعقوب الرسول فيقول «ولكن إن كان لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم، فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق، بل هي أرضية نفسانية شيطانية. لأنه حيث الغيرة والتحزب، هناك التشويش وكل أمر رديء» (يع ٣ : ١٤ - ١٦).

إن الإصلاح مطلوب، لكن لا يصح أن يتم بطريق الشوشرة.

وإنما يكون بحكمة وروحانية، وبطريقة إيجابية. ولذلك يصف القديس يعقوب هذه الحكمة والروحانية بقوله «وأما الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة ثم مسالمة، مترفقة مدعنة، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة... وثمر البر يزرع في السلام، من الذين يحبون السلام» (يع ٣ : ١٧ ، ١٨).

لذلك فالمسيحية تدين الغيرة الهدامة والشتامة :

ليست غيرتك للحق، معناها أن تشتم المخطئين وتشبعهم تجريحاً وتوبيخاً. لأنه من الممكن أن تدافع عن الحق بطريقة ايجابية

بناءة. فنحن لا نتكلم عن مجرد الغيرة، وإنما عن الغيرة المقدسة. والقداسة لا تتفق مع الأسلوب الشتام الهدام.

الغيرة المقدسة هي أن تنقذ الخاطيء من خطيته، لا أن تحطمه ...

فالانقاذ خير من الانتقاد. وبناء النفس بالفضيلة، خير من تحطيمها بالنقد الجارح واساءة السمعة وخدش الشعور... وباقي وسائل التعيير والتحقير، تحت اسم الغيرة!!

الغيرة المقدسة ليست هي الغيرة الصخابة العصبية الانفعالية!

ليست هي الصياح والصراخ والضجيج، وليست مجرد الكلام، إنما هي عمل إيجابي نافع، من أجل الخير، ومن أجل الغير، مع الالتزام بالوسائل المقدسة. إنها تنشر الحق بطريقة حقانية، لا خطأ فيها، بغير ضوضاء، بغير شجار، بغير خصام.

تشبه النار التي تُنضج وليست النار التي تحرق.

إنها ليست عاصفة هوجاء، تجرف كل ما في طريقها، بقسوة لا ترحم. وليست «غيرة مرّة» حسبما وصفها يعقوب الرسول. فالخادم المتصف بالغيرة، يكون «غيبوراً في أعمال حسنة» (تى ٢ : ١٤). وهكذا أيضاً:

تكون الغيرة متواضعة ، لا تتكبر ولا تتعالى ...

تسهر بآلام المخطئين ، وتعمل على انقاذهم منها ، في حب ،
وفي وداعة واتضاع . مثلما قال بولس الرسول لقادة افسس
« متذكّرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم افتر عن أن أنذر
بدموع كل أحد » (أع ٢٠ : ٣١) ... كان ينذر بدموع ، وليس
بصلف ولا بكبرياء ولا بقسوة ...

الغيرة تبذل ذاتها لأجل الغير لا أن تحطم الغير .

مثلما فعل السيد المسيح الذى قال إنه ما جاء ليدين العالم ،
بل ليخلص العالم (يوح ٣ : ١٧) . وقال أيضاً « لأن ابن الإنسان
لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (لوق ٩ : ٥٦) . لذلك
فالغيرة المقدسة هي غيرة رحيمة منقذة ، هدفها الخلاص ...

إنها غيرة إذا افتقدت تقنع وتتابع ، وتزيل العوائق ، وتحل
المشكلات .

وبدلاً من أن تلوم الخطاة على عدم السير في الطريق السليم ،
تسهل لهم السير في الطريق ، وتحببهم فيه ، وتقوى عزائمهم
وارادتهم ...

نقطة أخرى في صفات الغيرة المقدسة وهي أنها :

٤ خارق قويت ومجاهدة

قد يجب البعض الوداعة والتواضع ، ولكن للأسف الشديد .

ربما يرون التواضع والوداعة يتعارضان مع القوة والشجاعة !

وهذا خطأ واضح . فالفضائل المسيحية تتمثل في الشخصية المتكاملة ، التي لا ينقصها شيء . والسيد المسيح كان وديعاً ومتواضعاً ، كان أيضاً قوياً وشجاعاً . وما أجمل قول داود النبي في غيرته المقدسة :

« تكلمت بشهادتك قدام الملوك ولم أخز » (مز ١١٩) .

الغيرة المقدسة هي نار . والنار لها قوتها وحرارتها :

والخادم المتصف بالغيرة ، إذا تكلم بكلمة الرب ، فكلمته نار « لا ترجع فارغة » (اش ٥٥ : ١١) بل تكون « حية وفعالة ، وأمضى من كل سيف ذى حدين ، ونخارقة إلى مفرق النفس والروح » (عب ٤ : ١٢) .

وإذا صلى لأجل الخدمة ، تكون صلاته ناراً تلتهب .

«تقتدر كثيراً في فعلها» (يع ٥ : ١٦) . تستطيع أن تقف أمام الله ، تصارع وتغلب ... وتأخذ منه قوة تشعل الخدمة وتنجحها . والخادم الغيور إذا وبخ فكأنه نار ، وإذا نصح فكأنه نار . وإذا تناول موضوعاً ، يكون ذلك بقوة ونعمة ، وليس بتراخ ولا تهاون . هو شخص ملتهب في قلبه ، وفي أفكاره وفي الفاظه ، وفي مشاعره . وعمله قوى في نتائجه .

ليست الغيرة مجرد روتين أو تادية واجب ، إنما هي قوة .

هي شعور وعاطفة ، وحماس وحرارة ، وشجاعة تتخطى كل العقبات ، ونشاط دائم ومنتج . وهذه القوة التي للغيرة ، تظهر في أمور عديدة :

قوة في الاقناع ، وفي التأثير ، وقوة في الدفاع عن الإيمان والحق ، وقوة في العمل .

إن دخل في الخدمة خادم من هذا النوع ، يشعر الكل أن طاقة كبيرة قد دخلت في الخدمة ، وأن كل فروع الخدمة قد بدأت

تتحرك وتسخن ، والشمار اصبحت وفيرة... أخذوا قوة من الروح
أصبحت ميزة لهم تلازمهم في كل موضع وفي كل مناسبة .

العجيب أن أهل العالم قد تكون لهم جرأة في
استهتارهم ، بينما أولاد الله قد يخجلون من برهم .

كما لو كانت (الوداعة) خاتماً على شفاههم !! فلا تكون لهم
قوة في الدفاع عن مبادئهم وعن عقائدهم وعن سلوكهم الروحي...
كما لو كان الواحد منهم خجلاً من سلوكه الروحي !!

انظروا إلى وصف الكتاب للملائكة القديسين إذ يقول :

سبحوا الله يلا ملائكته ، المقتدرين قوة» (مز ١٠٣) .

إنها تذكرني بالقوة التي تكلم بها بولس الرسول عن البر
والتعفف والدينونة . فارتعب فيلكس الوالي (أع ٢٤ : ٢٥) .

امتلاً بولس بالروح ، فامتلاً بالقوة ، قوة الروح الذي قيل عنه
«ستناولون قوة متى حل الروح القدس عليكم» .

من شروط الغيرة المقدسة أيضاً أنها تكون :

خير مشمرة ومشيطنة

إن الغيرة هي عمل ايجابي ، وليست مجرد كلام ...
والعمل الايجابي لا بد أن يكون له ثمر في ملكوت الله . وقد
طلب الكتاب منا أن يكون لنا ثمر... وقال « كل شجرة لا تعطى
ثمراً جيداً ، تقطع وتلقى في النار » (متى ٣ : ١٠) .
والغيرة المقدسة إذا ملكت قلب إنسان ، إنما تدفعه بقوة نحو
خلاص نفسه ونحو خلاص الآخرين . فلتكن لك هذه الغيرة .
وليكن لك معها الحب نحو الآخرين والسعى في ضمهم إلى
الملكوت .

فإن لم تكن لك الغيرة التي تدفعك إلى العمل على
خلاص الناس ، تصير حينئذ شجرة جذباء غير مشمرة .

هل تقبل أن تذهب إلى الله بدون ثمر روحى ، بدون أن
تكسب ولا نفساً واحدة للمسيح؟! هل تقبل أن تكون شجرة
جذباء عقيمة؟!

إن الكرمة إن كان فيها عنقود واحد مثمراً، فلا تزال تحمل
بركة. والعنقود إن كانت فيه حبة واحدة، فلا يزال يحمل بركة!
(اش ٦٥ : ٨)، وأنت ماذا تحمل؟! لعلك تستطيع أن تقف في
الملكوت وتقول:

« هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب » (اش ٨ :
١٨).

إذن كن مثمراً في حياتك. فالإثمار وضع طبيعي للشجرة،
مادامت فيها حياة... كن منتجاً ولا تكن سلبياً..
هل أنت في كل يوم تضيف حصيلة جديدة إلى الملكوت؟
وتستطيع أن توصل كلمة الله إلى غيرك؟

إن الأيام المباركة في حياتك، هي الأيام المثمرة.

هناك أيام عجيبة في حياة القديسين كانت بركة، وكانت نمواً
لملكوت الله. ينطبق عليها قول الكتاب «يوم واحد عند الرب
كألف سنة» (٢بط ٣ : ٨)..

لعل جيلنا الذي نعيش فيه، يصرخ ويصلى قائلاً:

إننا يارب لم نكن مستحقين أن نعيش في الجيل الذي رأك في
الجسد ورأى كيف تعمل. ولم نكن مستحقين كذلك أن نحيا في

جيل بولس الرسول مثلاً . ولكنها طلبة عزيزة نطلبها :

امنحنا يوماً واحداً فقط من حياة بولس .

أو يوماً من حياة بطرس ، أو من حياة أسطفانوس ...

إن بطرس الرسول استطاع في يوم واحد أن يضم ثلاثة آلاف نفس إلى الإيمان . (أع ٢ : ٤١) . واسطفانوس بسببه « كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً... » (أع ٦ : ٧) .

وبولس الرسول كان يربح على كل حال قوماً (١ كو ٩ :

٢٢) .

كان يعمل في كل ميدان ، مع كل أحد ، مع اليهود ، مع اليوناني ، مع الذين بلا ناموس ... بأسلوب انسان خبير في خلاص النفس ... كم هي النفوس التي ستسير وراء بولس الرسول في الملكوت ؟ أو ما هو الانتاج العظيم الذي كان له في ملكوت الله .
يقيناً أن هذا الإنسان لم يكن خادماً عادياً .

حقاً إنه على بولس وأمثال بولس ، قال الكتاب :

« ألم أقل أنكم آلهة ، وبنى العلى تدعون » (مز ٨٢ :

٦) .

بل كان بولس أعلى من هؤلاء (مز ٨٢ : ٧)

انظر إلى الجبابرة في ملكوت الله ، واشته أن تسير في طريقهم ،
واسأل نفسك في كل يوم :

ما الذى فعلته أنا من أجل الملكوت ؟

هل كنت أميناً في كل خدمتى ، وفي كل الوزنات التى
وهبني الله إياها ؟ ومع كل الأنفس التى أقامني الله خادماً لها ؟
وهل سأسمع صوته الحانى في اليوم الأخير يقول لى « نعماً أيها
العبد الصالح والأمين . كنت أميناً في القليل . فسأقيمك على
الكثير . ادخل إلى فرح سيدك » (متى ٢٥ : ٢١) .
يعجبني ذلك العبد الشاطر الذى قال لسيده :

« مناك ياسيد ربح عشرة أمناء » (لوقا ١٩ : ١٦) .

هذه هى الغيرة الحققة المثمرة في ملكوت الله . لعلنا بالمقارنة
معها نسأل أنفسنا :

ما الذى فعلناه نحن من أجل هذا الجيل الذى عشنا فيه ؟
والذى هو أمانة في أعناقنا أمام الله وأمام الأجيال المقبلة .. ! ماذا
كانت غيرتنا العملية على خلاصه ؟ !

ما هو العمل الخلاصى الذى ساهمت به الكنيسة ؟ أم هل
نظرنا وإذا حياتنا عقيمة ، وبلا قيمة ، وغير منتجة !!

ما الذى عملنا من أجل جيل انتشرت فيه الإباحية والمادية
والاحاد ؟ واصبح هناك واجب على أولاد الله :

أن يكونوا أنواراً ساطعة في جبل مظلم .

هل قامت الكنيسة بهداية العالم ، أم تشكل بعض أولادها
بشكل العالم ؟! هل أعطينا العالم الذى فىنا ، أم أخذنا منه شره .
هل عملنا وعلمنا العالم طرقنا الروحية ، أم أخذنا من العالم
أساليبه وحيله وسبله ؟!

هل بغيرتنا صار العالم روحياً ، أم صور الروحىون كأهل
العالم ؟!

ما الذى فعلناه لأجل الرب ؟ هل نستطيع أن نقول مع السيد
المسيح « العمل الذى اعطيتنى لأعمل قد أكملته » (يوحنا : ١٧ : ٤) .
هل فى زيارتنا وافتقادنا لأى بيت ، نستطيع أن نرفع تقريراً لله
نقول فيه :

« اليوم حصل خلاص لهذا البيت » (لوقا : ١٩ : ٩) ..

انظروا إلى يوحنا المعمدان ، وماذا فعل لأجل جيله :

في فترة قصيرة جداً ، استطاع أن « يهيء للرب شعباً مستعداً »
(لوقا : ١٧) وأن يقود جماهير الشعب كله إلى معمودية التوبة
« معترفين بخطاياهم » من أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة
المحيطة بالأردن (متى ٣ : ٥ ، ٦) . واستطاع أن يستلم العروس
للعريس ، ويقف فرحاً (يوحنا : ٣ : ٢٩) ... هذا هو الثمر العجيب
لغيره ملتهبة .

إن كان هؤلاء القديسون دروساً لنا ، فالطبيعة أيضاً
كذلك :

في إحدى المرات ، وقفت في الدير أمام شجرة كافور ضخمة ،
شجرة ارتفاعها حوالي العشرين متراً ، وفيها فروع تحمل عشرات
الآلاف من البذور ، إن لم يكن مئات الآلاف . وتأملت بذرتها ،
فإذا هي صغيرة جداً . وقد استطاعت هذه البذرة الدقيقة ، أن تنمو
هذا النمو الهائل ، وأن تطرح مئات الآلاف من البذور ! وشعرت
بضآلة نفسي أمام شجرة الكافور هذه ، بل أمام فرع واحد منها ، بل
أمام هذه البذرة الدقيقة الصغيرة .

والدرس الذى تأخذه من شجرة الكافور، نأخذ مثله من النخلة .

نواة بلحة ، تنمو كل هذا النمو، وتعلو كل هذا العلو، وتعطى هذا القدر العظيم من البلح ، بآلاف عددها ... ثم أجلس وأعد عدد سنوات حياة هذه النخلة، ومقدار الثمر الذى اعطته فى حياتها كلها . واشعر أيضاً بصغر نفسى أمامها ... ولعل داود خطر بنفسه هذا الخاطر حينما قال :

« الصديق كالنخلة يزهر » (مز ٩٢ : ١٢)

ومع ذلك يقول إن الإنسان هو سيد الطبيعة .

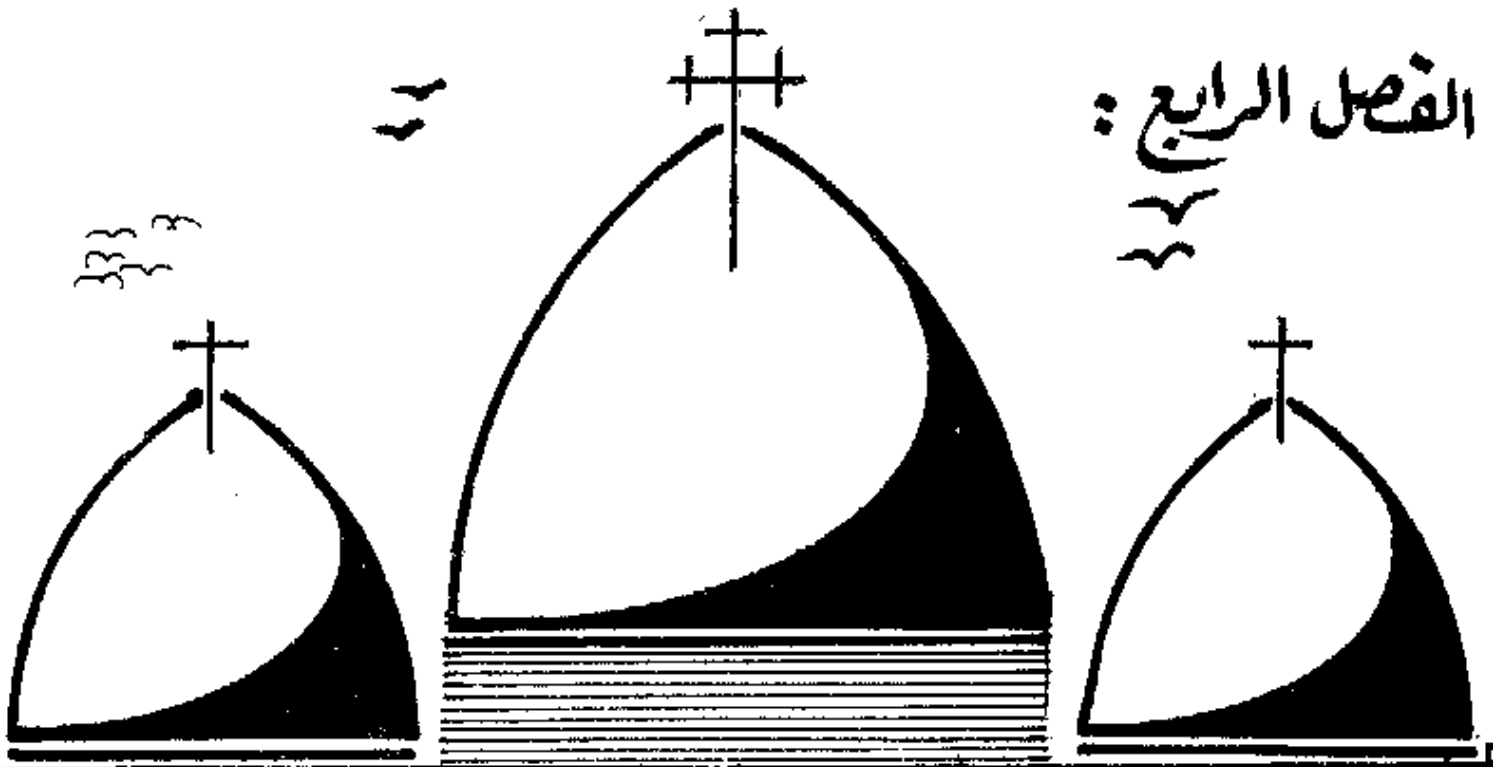
وهو كاهن الطبيعة ، وهو خليفة الله فى أرضه ... هو الذى سلطه الله على النبات والحيوان والطيور .. هل استطاع أن يثمر مثلما تثمر النخلة ، أو يزهر مثلما تزهر زنبق الحقل ؟ هل استطاع أن يكون فى عمله كمجرد نواة لبلحة ؟!

اجتماع كاجتماعكم هذا ، لو كل شخص فيه ، اتى بعشرة اشخاص معه ، فى غيرة منه للملكوت الله ، كم يكون إذن أبناء الملكوت ، لو توالى الأعداد .

لتكن لكم إذن غيرة على الملكوت . وليكن لغيرتكم ثمر ،
افقى وعمقى ...

افقى من جهة العدد والامتداد والأنتشار . وعمقى من جهة
النوعية والروح وعمق الصلة بالله ...





السنة من العبرة

- | | |
|--------------------|------------------------------|
| ١- الله نفسه . | ٨- الأثنا عشر رسولاً . |
| ٢- الملائكة . | ٩- بولس الرسول . |
| ٣- موسى النبي . | ١٠- أسطفانوس الشماس . |
| ٤- فينحاس الكاهن . | ١١- مارمرقس الرسول . |
| ٥- الفتى داود . | ١٢- الشماس أثناسيوس . |
| ٦- ايليا النبي . | ١٣- الأرشيدياكون حبيب جرجس . |
| ٧- اشعيا النبي . | ١٤- بعض آباء الرهبنة . |

إن أردنا أن نأخذ أمثلة عن الغيرة المقدسة ، فإن أول مثال لنا هو الله نفسه ، سواء في أزليته ، أو في تجسده . ثم الملائكة وسائر القديسين ، في العهدين القديم والحديث . مع أمثلة من تاريخ الكنيسة .

١- الله نفسه

قرأنا لقبه في مواضع كثيرة أنه « إله غيور » .

ورد في سفر الخروج « لأن الرب إسمه غيور . إله غيور هو » (خر ٣٤ : ١٤) . وفي سفر التثنية « الرب إلهك هو نار آكلة . إله غيور » (تث ٤ : ٢٤) . وقيل عنه في سفر يشوع « إله قدوس وإله غيور هو » . (يش ٢٤ : ١٩) . وفي سفر ناحوم « الرب إله غيور » (نا ١ : ٢) . ويتحدث السيد الرب عن غيرته الإلهية ، فيقول :

« ... أغار على إسمى القدوس » (حز ٣٩ : ٢٥) .

وغيرة الرب تظهر في معاقبته للشر، سواء صدر من شعبه أو من الأمم. فمن جهة أهل أورشليم الذين نجسوا مقدسه، يقول «أنا الرب تكلمت في غيرتى... أتممت سخطى فيهم» (حز ٥ : ١٣). كذلك تكلم عن غيرته و نار سخطه في اجتياح جوج لإسرائيل (حز ٣٨ : ١٩). أما عن الأمم فيقول الكتاب «هكذا قال السيد الرب: إني في نار غيرتى تكلمت على بقية الأمم الذين جعلوا أرضي ميراثاً لهم...» (حز ٣٦ : ٥). مع «غضب عظيم على الأمم» (زك ١ : ١٤).

وفي غيرة الرب التي تضرب الأشرار، قيل:

«لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع أن ينقذهم في يوم غضب الرب. بل بنار غيرته تؤكل الأرض كلها» (صف ١ : ١٨).

ومن الناحية الأخرى، في غيرته ينقذ شعبه:

فيقول «الآن أرد سبي يعقوب، وأرحم كل بيت إسرائيل، وأغار لاسمى القدوس» (حز ٣٩ : ٢٥). وأيضاً «هكذا قال رب الجنود: غرت على أورشليم وعلى صهيون غيرة عظيمة.. قد رجعت إلى أورشليم، فيبنى بيتي فيها» (زك ١ : ١٤). «لأنه

من أورشليم تخرج بقية ، وناجون من جبل صهيون . غيرة رب الجنود تصنع هذا » (إش ٣٧ : ٣٢) .

لذلك كان الناس يصرخون إلى غيرة الرب لأنقاذهم :

فيقولون له « تطلع من السماء ، وأنظر من مسكن قدسك ومجدك . أين غيرتك وجبروتك » (إش ٦٣ : ١٥) . وهكذا نرى أن يوثيل النبي نادى بصوم وتذلل وتوبة ، وبأن يبكي الكهنة أمام الرب « فيغار الرب لأرضه ، ويرق لشعبه » (يوء ٢ : ١٨) .

بل أن غيرة الرب على خلاص شعبه ، كانت سبب

التجسد :

وهكذا قيل في سفر اشعيا النبي « لأنه يولد لنا ولد ، ونعطي ابناً ، وتكون الرياسة على كتفه . ويدعى اسمه عجيباً مشيراً ، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية .. غيرة رب الجنود تصنع هذا » (إش ٩ : ٦ ، ٧) .

هذه الغيرة على الخلاص وعلى القداسة والملكوت نجدها

في تجسد السيد المسيح :

غيرة الرب هذه ، واضحة في تطهيره للهيكل ، إذ « وجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرأ وغنماً وحماماً ، والصيافة جلوساً ،

فصنع سوطاً من حبال ، وطرده الجميع من الهيكل ، الغنم ، والبقر .
وكتب دراهم الصيارف وقلب موائدهم . وقال لباعة الحمام ارفعوا
هذه من ههنا . لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » (يوحنا : ٢ : ١٤ -
١٦) . ويعلق القديس يوحنا الانجيلي على تطهير الهيكل فيقول :
« فتذكر تلاميذه أنه مكتوب : غيرة بيتك أكلتني »
(مز ٦٩ : ٩) .

وفي غيرة السيد المسيح لخلاص الناس ، بذل ذاته عنهم .
كانت غيرة عملية بكل عمق الكلمة . لم تكن مجرد رغبة في
أن يخلصوا . وإنما حمل خطاياهم ، ودفع ثمنها على الصليب ، ومات
عنها ... إنها الغيرة التي فيها الحب والبذل . وليس مجرد بذل شيء
خارجي ، وإنما بذل الذات والحياة . وهكذا ضرب لنا المثل الأعلى في
الغيرة العملية .

وفي فترة خدمته على الأرض ، كانت له الغيرة المملوءة حباً .
كان من أجلهم « يطوف المدن كلها والقرى ، يعلم في مجامعها
ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في
الشعب » وماذا أيضاً ؟ يقول الكتاب « ولما رأى الجموع تحنن

عليهم ، إذ كانوا متزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها «
(متى ٩ : ٣٥ ، ٣٦) . وقال عنه القديس بطرس الرسول إنه كان
يجول يصنع خيراً (أع ١٠ : ٣٨) .

وكان الله - من غيرته على خلاص الناس - يكلف ملائكته بأن
يكونوا خداماً لهذا الخلاص .

٢- الملائكة

هؤلاء هم الذين قال عنهم القديس بولس الرسول :
« أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة ، مرسله للخدمة ، لأجل
العتيدين أن يرثوا الخلاص » (عب ١ : ١٤) .
ولعل من أروع الأمثلة التي تروى عن غيرة الملائكة ، ما رواه
الكتاب لنا عن غيرة السارافيم لأجل الخدمة وخلاص الناس ، مع
أنهم ملائكة للتسبيح ، هؤلاء لما سمعوا اشعيا النبي يقول « ويل
لي قد هلكت ، لأنى إنسان نجس الشفتين » (أش ٦ : ٥) ، لم

يتباطأوا أبدأ ، ولا انتظروا أمراً ولا دعوة . إنما اشتغلوا بكل سرعة
وبكل غيرة . وهنا يقول اشعيا :

« فطار إلى واحد من السارافيم ، وبيده جرة أخذها
بملقط من على المذبح ، ومسّ بها فمى ، وقال « قد انتزع
إثمك ، وكفر عن خطيئتك » (أش ٦ : ٦ ، ٧) .

لاحظ هنا كلمة (طار) إذ تدل على السرعة ، وكلمة (جرة)
إذ تدل على الحرارة . وكلاهما من خواص الغيرة : الحرارة
والسرعة .

ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن عمل الملائكة من أجل خلاص
الناس ، سواء في تبشيرهم ، أو خدمتهم ، أو حلولهم حول خائفي
الله وتنجيتهم (مز ٣٤ : ٧) أو نقلهم رسائل الله إلى خدامه ... إنهم
الذين قيل عنهم في المزمور « المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند
سماع صوت كلامه » (مز ١٠٣ : ٢٠) .

ومن أمثلة خدمة الملائكة ، أنقاذ أحدهم ليهوشع
الكاهن .

كان الشيطان قائماً عن يمين يهوشع الكاهن العظيم ليقاومه .
وكان يهوشع لابساً ثياباً قدرة . وتدخل ملاك الرب وقال للشيطان

« لينتهرك الرب يا شيطان ، لينتهرك الرب ... أفليس هذا شعلة
منتشلة من النار » (زك ٣ : ٢) . وهكذا نزعوا عن يهوشع الملابس
القدرية ، وألبسوه ملابس مزخرفة . وأشهده ملاك الرب على السلوك
في طريق الله (زك ٣ : ٣ - ٧) .

ومن أمثلة غيرة الملائكة ، ما فعله الملاك اللذان انقذا
لوط من حريق سادوم .

قيل إن الملاكين قالا للوط « من لك أيضاً ههنا ؟ أصهارك
وبنيك وبناتك ، وكل من هو لك في المدينة . اخرج من المكان ،
لأننا مهلكان هذا المكان ... ولما طلع الفجر ، كان الملاكان
يعجلان لوطاً ... ولما توانى أمسكا بيده وبيد امرأته وبيد بنتيه ،
لشفقة الرب عليه ، وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة .. » (تك ١٩)

٣- مومي النبي

هذا الرجل الذي كانت له الغيرة على ملكوت الله ، حتى صار
بطل الإيمان في عصره . ومن أجل غيرته ، ترك الإمارة والقصر

الملكى ، ليقود الشعب فى عبادة الله . ولذلك « أبى أن يُدعى ابن
إبنة فرعون ، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله ... حاسباً عار
المسيح غنى أعظم من خزائن مصر... » (عب ١١ : ٢٤ - ٢٦) .

فضرب مثلاً بغيرته ، حينما عبد الشعب العجل الذهبى :

لقد أخذ موقفاً حازماً جداً مع الشعب الخاطيء . لأنه لما
اقترب من المحلة وأبصر العجل والرقص ، يقول عنه الكتاب
« فحمى غضب موسى ، وطرح اللوحين من يديه وكسرها فى أسفل
الجبيل . ثم أخذ العجل الذى صنعوه ، وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى
صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء » (خر ٣٢ : ١٩ ، ٢٠) . ووبخ
هرون رئيس الكهنة . وأمر بضرب الشعب ، فمات فى ذلك اليوم
نحو ثلاثة آلاف رجل (خر ٣٢ : ٢٨) .

**وكما أن غيرة موسى جعلته يأخذ موقفاً حازماً مع
الشعب ، كذلك جعلته غيرته أنه يشفع فيهم أمام الله .**

فلما أراد الرب إفناءهم بسبب خطيتهم هذه ، وقف موسى
شفيعاً يقول « لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك ... ارجع عن هو

غضبك ، واندم على الشر بشعبك . اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل
عبيدك ..» (خر ٣٢ : ١١ - ١٣) . بل قال له أكثر من هذا
«والآن إن غفرت خطيتهم ، وإلا فاعنى من كتابك الذى
كتبت» (خر ٣٢ : ٣٢) .

إنها غير مزدوجة : فيها الحزم ، وفيها الحنو .

فيها التأديب ، وفيها الشفاعة إنها تريد خلاص الناس وليس
هلاكهم . وإن كان خلاصهم يحمل ضربهم ، فلا مانع : «وأى
ابن لا يؤدبه أبوه؟!» (عب ١٢ : ٧) . لاشك أن مثال غير
موسى هذه هو من الأمثلة النادرة التى تحمل معنى مزدوجاً ...

٤- فينحاس

فينحاس كان كاهناً للرب ، حفيد هرون رئيس الكهنة .
حدث بعد مقابلة بلعام لبالاق ، أن الشعب ابتدأ يزنى مع بنات
موآب . وإذا برجل قد دخل بإمرأة أمام عينى موسى وأعين كل

الجماعة ، وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع . وحينئذ اشتعل
فينحاس بالغيرة المقدسة ، ودخل وراء الرجل والمرأة وقتلهما ،
وتطهرت المحلة بسفك دمهما .

فعل هذا دون أن يدعو أحد إلى فعل ذلك . وامتدح الله
غيرة فينحاس .

واوقف الله الوبأ الذي كان قد قتل اربعة وعشرين ألفاً من
الشعب بسبب زناهم . « وكلم الرب موسى قائلاً : فينحاس بن
العازار بن هرون الكاهن قد ردّ سخطى عن بنى اسرائيل بكونه
غار غيرتى في وسطهم ، حتى لم افن بنى اسرائيل بغيرتى »
(عدد ٢٥ : ٦ - ١١) .

٥- النبي داود

تحدثنا في الفصل الأول عن غيرة داود الملك ، الذي قال للرب
« غيرة بيتك أكلتنى » (مز ٦٩ : ٩) . داود الذي بقلب مملوء من

الغيرة المقدسة أعد كل شيء لبناء بيت للرب (١أى ٢٩) . نعم
داود الذى كانت غيرته تجعله يكتب ويكسى بسبب الخطاة الذين
تركوا ناموس الرب (مز ١١٩) .

**ولكننا نريد هنا أن نتكلم عن غيرة داود وهو فتى ، حينما
حارب جليات :**

نذكر هذا المثال ، لأنه كان فتى صغيراً ، وليس من رجال
الحرب . ولم يكن مسئولاً عن رد تعيير جليات . بل قد وبخه أخوه
الياب لما سمعه يتكلم فى موضوع جليات ... ثم أن جليات كان
رجلاً ضخماً مخيفاً للجيش كله (١صم ١٧ : ٢٤) . وما كان أحد
يلوم الفتى داود إن لم يتطوع لمقاتلة جليات ، بل الملك شاول نفسه
تعجب لما قال له داود « عبدك يذهب ويحارب هذا الفلسطينى » .
فأجابه الملك : لا تستطيع أن تذهب لتحاربه ، لأنك غلام وهو
رجل حرب منذ صباه (١صم ١٧ : ٣٢ ، ٣٣) .

**ولكن داود دعته غيرته ، فأراد أن يزيل العار عن صفوف
الله الحى (١صم ١٧ : ٢٦) .**

الجيش كله يسمع تعيير الرجل دون أن يجرؤ على عمل شيء .

بل أن « جميع رجال اسرائيل ، لما رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جداً » (١ صم ١٧ : ٢٤) . ولكن داود لم يخف .

كانت غيرته لا تعتمد على الذات ، بل على الله .

إنها غيرة مؤمنة بعمل الله . لا تقف لتعرض ذاتها وعملها .
إنها الغيرة التي تقول لعدو الله « أنت تأتي إليّ بسيف وبرمح وبترس . وأنا آتى إليك باسم رب الجنود ... في هذا اليوم يحبسك الرب في يدي ... لأن الحرب للرب ، وهو يدفعكم ليدنا »
(١ صم ١٧ : ٤٥ - ٤٧) .

إنها الغيرة التي لا تنتظر دعوة لكي تعمل ...

إنما يدعوها قلبها الملتهب من الداخل ، الذي لا يستطيع أن يقف صامتاً لا يتكلم . ولا يستطيع أن يقف جامداً لا يتحرك . إن الاحداث تدفعه دفعاً ، ولو في الأمر خطورة . وهكذا تصرف فينحاس أيضاً .

كان هناك من هم أكبر من داود ، ولم يتصرفوا .

ولكن الذي كان في قلبه كان أكبر بكثير مما كان في قلوبهم .

كانت في قلبه غيرة، نار متقدة، مع إيمان، وعدم خوف. وبهذا الكنز الداخلى تقدم، وعمل الله فيه وبه ...

٦- إيليا النبي

إنه ذلك النبي القوى الذى قال للرب غرت غيرة للرب إله الجنود، لأن بنى اسرائيل قد تركوا عهدك، ونقضوا ميثاقك، وقتلوا انبياءك بالسيف ...» (١ مل ١٩ : ١٤).

وغيرة ايليا جعلته يواجه الملك ويوبخه، كما سببت له غيرته اتهامات ومتاعب.

كانت عبادة الأصنام منتشرة في عهده. بسبب الملك آخاب وزوجته الملكة إيزابل، التى كان يأكل على مائدتها اربعمائة وخمسون من أنبياء البعل واربعمائة من أنبياء السوارى (١ مل ١٨ : ١٩).

وغيرة إيليا دفعته أن أن يصلى لتحدث ضيقة، يمكن بها أن تستيقظ الضمائر...

فصلى صلاة أن لا تمطر السماء ، فلم تمطر ثلاث سنين وستة أشهر (يع ٥ : ١٧) .

قال في غيرته وقوة إيمانه « ... لا يكون ظلّ ولا مطر في هذه السنين ، إلا عند قولى » (١ مل ١٧ : ١) . وقد كان وحدثت المجاعة ، واستمرت سنوات . حتى أنه لما تقابل مع الملك آخاب ، قال له الملك « هل أنت مكدّر اسرائيل ؟ » (١ مل ١٨ : ١٧) . فأجابه ايليا بكل جرأة غيرته « بل أنت وبيت أبيك ، بترككم وصايا الرب ، وبسيرك وراء البعليم » ... وانتهى الأمر برجوع المطر ، وبقتل كل أنبياء البعل والسوارى ...

إنها غيرة قوية وجريئة وحازمة ، طهرت الأرض من الوثنية .

ولكنها عرضت إيليا للمتاعب : عرضته لمواجهة الملك الذى كان يريد قتله ، والذى بسببه اختبأ انبياء الرب فى المغاير . وكان عوبديا ، الرجل الطيب ، يخافه أيضاً (١ مل ١٨) . وتعرض إيليا لغضب إيزابل التى كانت أقوى وأقسى من آخاب ، والتى لما سمعت بما فعله إيليا ، ارسلت إليه تنذره بأنها ستقتله (١ مل ١٩ :

١٠. واضطر ايليا إلى الهرب من وجهها . ولم يسمح لها الرب أن تنفذ وعيدها .

٧- (أخيه النبي)

غيرته يمثلها قول المزمور «مستعد قلبي يا الله ، مستعد قلبي» (مز ٥٦) .

هذا الذي لما سمع صوت السيد الرب قائلاً «من أرسل؟ ومن يذهب لأجلنا؟» ، أجاب على الفور «هأنذا أرسلني» (أش ٦ : ٨) .

البعض قد يفهم التواضع بمعنى الاعتفاء من الخدمة والهروب منها . ولكن الغيرة بكل محبة تقدم نفسها للخدمة .

تتقدم الغيرة إلى الخدمة . ولا يكون ذلك عدم اتضاع .

لأنها تعرف أنها ستخدم بعمل الله فيها ، منكرة ذاتها تماماً .
مثلاً تقدم داود لمقاتلة جليات وهو يقول «اليوم الرب يحبسك في يدي . الحرب للرب ، وهو يدفعكم ليدنا» (١ صم ١٧) .

بغيره الآباء الرسل تأسست الكنيسة وانتشرت في الأرض كلها .

هؤلاء الذين لا صوت لهم ولا كلام، إلى أقصاء المسكونة بلغت أصواتهم . بعزيمة لا تفتري، وعمل لا يعرف الراحة، وباحتمال عجيب . لذلك استطاعوا أن يقولوا لما حاولوا منعهم :

نحن لا يمكننا أن لا نتكلم ... (أع ٤ : ٢٠) .

ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس (أع ٥ : ٢٩) .

وهكذا كانوا « يتكلمون بكلام الله مجاهرة » بكل شجاعة « وكانوا كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح » (أع ٥ : ٤٢) « وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون » (أع ٢ : ٤٧) « وكان مؤمنون ينضمون إلى الرب أكثر، جاهرين من رجال ونساء » (أع ٥ : ١٤) .

ومن أجل غيرة الرسل احتملوا الجلد والإهانة والسجن .

ولما سجنوهم وجلدوهم ثم أطلقوهم « خرجوا فرحين لأنهم
حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه » (أع ٥ : ٤١) . ولما
أوقفوهم أمام المجمع قال لهم رئيس الكهنة « أما أوصيناكم وصية
أن لا تعلموا بهذا الإسم . وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم ،
وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان » (أع ٥ : ٢٨) . ولما
طردوهم من أورشليم بعد استشهاد اسطفانوس ، يقول عنهم
الكتاب :

« الذين تشتتوا ، جالوا مبشرين بالكلمة » (أع ٨ : ٤) .

كانوا كقطع من فحم ، اشعلتها نار الروح القدس في يوم
الخمسين ، فتطايرت شراراتها إلى أقصاء الأرض ، واشتعل العالم
ناراً ...

وهكذا نفذوا وصية الرب الذي قال لهم « ... وتكونون لي
شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة ، وإلى أقصى
الأرض » (أع ١ : ٨) .

لقد شهدوا للمسيح ، ونالوا في ذلك أكاليل الشهادة .

وكانوا لا يخافون الموت اطلاقاً ، ولا تزعجهم الضيقات ولا العذابات ولا المحاكمات ولا السجون . المهم أن يشهدوا للرب ، وليكن بعد ذلك ما يكون ...

وإلى جوار الأثنى عشر في الغيرة ، لا بد أن نضع إسم بولس الرسول .

٩. القديس بولس الرسول

إنه من أروع الأمثلة البشرية للغيرة المقدسة ، بل هو أروعها فعلاً .

عندما آمن باليسحية ، دخلتها طاقة عجيبة من الحرارة والقوة .

فاستطاع أن يشهد للرب في أورشليم ، وفي بلاد اليهودية ، وفي قبرص ، وفي آسيا الصغرى . ثم في بلاد اليونان ، وفي ايطاليا . وهو الذي أسس كنيسة رومة * . يضاف إلى هذا ١٤ رسالة كتبها ،

* انظر كتابنا عن حياة مارمرقس من ص ٣٦ إلى ص ٤٢

وكانت لها أهميتها في وضع قواعد الإيمان المسيحي وانتشاره . وقد كتب بعضها وهو في السجن .

أية غيرة هذه : أن الإنسان يبشر وهو في السجن !

بل ما أجمل ما يقوله عن انسيمس «الذي ولدته في قيودي» (فل ١٠) . ومن السجن يكتب إلى أفسس ، قائلاً لأهلها «اطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التي دعيتم إليها» (أف ٤ : ١) . كان وهو أسير، في السجن ، يهتم بخلاص غيره .

بل أن اهتمامه بخلاص غيره ، فاق اهتمامه بنفسه . ولذلك فإنه في محبته العجيبة لمواطنيه ، يقول عبارته المؤثرة جداً ، المملوءة غيرة وحباً... يقول :

«... كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح ، لأجل أخوتي وانسبائي حسب الجسد...» (رو ٩ : ٣) .

غيرته إذن مبنية على الحب العميق ، الذي يريد فيه خلاص الكل ، ويخشى فيه على الكل من السقوط . فيقول لأهل كورنثوس

« إنى أغار عليكم غيرة الله . لأنى خطبتكم لرجل واحد ،
لأقدم عذراء عفيفة للمسيح . ولكننى أخاف أنه كما خدعت الحية
حواء بمكرها ، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح »
(٢ كور ١١ : ٢ ، ٣) .

وبولس الرسول من أجل غيرته على الملكوت ، كان دائم
الأسفار ، يحتمل المتاعب لنشر الإيمان .

إنه يقول عن خدمته « ثلاث مرات انكسرت بى السفينة .
ليلاً ونهاراً قضيت فى العمق . بأسفار مراراً كثيرة . بأخطار سيول ،
بأخطار لصوص ، بأخطار من جنسى ، بأخطار من الأمم . بأخطار
فى المدينة ، بأخطار فى البرية ، بأخطار فى البحر... فى تعب وكد ،
فى أسهار مراراً كثيرة . فى جوع وعطش ، فى أصوام مراراً كثيرة .
عدا ما هو دون ذلك... » (٢ كور ١١ : ٢٥ : ٢٧) . وما هو ذلك ؟
يقول :

« التراكم على كل يوم . الاهتمام بجميع الكنائس »
(٢ كور ١١ : ٢٨) .

هذه هى الغيرة حقاً . التى أمامها نقف متعجبين حينما يجارب
شباب بالمجد الباطل ، لمجرد أنه يدرس فصلاً فى التربية الكنسية ،

أو يلقي عظة في كنيسة!!

أما القديس بولس الرسول، فبالإضافة إلى كرازته في ميادين جديدة، كان عليه الاهتمام بالكنائس القائمة: يدبر ويفتقد ويرعى، حتى وهو في السجن.

وما أكثر الآلام التي تحملها القديس بولس بسبب غيرته على الملكوت.

يشرحها فيقول «في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجنون أكثر، في الميتات مراراً كثيرة. من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة. ثلاث مرات ضُربت بالعصى. مرة رُجمت...» (٢ كو ١١ : ٢٣ - ٢٥).

وعن تعب وتعب زملائه في الخدمة يقول «في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير، في شدائد في ضرورات في ضيقات، في ضربات في سجون في اضطرابات، في أتعاب في أسهار في أصوام... كمضلين ونحن صادقون... كمائتين وها نحن نحيا... كحزانى ونحن دائماً فرحون...» (٢ كو ٦ : ٤ - ١٠).

إن الغيرة لم تنفصل إطلاقاً عن الصليب، في خدمة بولس الرسول وزملائه.

ولذلك فإنه يصف حياته وحياتهم في الخدمة فيقول «...
مكتئبين في كل شيء، لكن غير متضايقين. متحيرين ولكن غير
يائسين، مضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير
هالكين، حاملين في الجسد كل حين إمامة الرب يسوع...»
(٢ كو٤ : ٨ - ١٠). هذه هي حالتهم، لئلا يظن البعض أن حياة
القديس بولس كانت مجرد مجد كقديس ورسول.

أو لئلا يظن البعض أن الغيرة هي حماس يأمر وينهى،
وينتقد ويوبخ!!

وينسى أن الذي يحيا حياة الغيرة المقدسة، ويجاهد لأجل
المللكوت، لابد أن يحمل صليبه كل يوم ويتبع الرب...

ما أكثر ما يمكن أن يقال عن القديس بولس الرسول:

لقد تكلمنا في الفصل الأول عن غيرته، وفي الفصل الثالث
عن ثمر هذه الغيرة. وما نقوله الآن لا يكفي...

١٠. القديس اسطفانوس

إن غيرته كانت ثمرة طبيعية لمواهبه وروحياته :

لقد اختير شماساً من « المملوئين من الروح القدس والحكمة ». وقيل إنه كان رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح والقوة (أع ٦ : ٣ ، ٥ ، ٨) وإنه « كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب » (أع ٦ : ٨) .

وقد بدأ اسطفانوس عمله بقوة . فماذا كانت نتائج غيرته ؟
« كانت كلمة الله تنمو ، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً .
وجهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان » (أع ٦ : ٧) .

ولم يحتمل المقاومون غيرة اسطفانوس وعمله ، فنهض لمحاورته قوم من مجمع الليبرتيين والقيروانيين والاسكندريين ، ومن الذين من كيليكية .

« ولم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به » (أع ٦ : ١٠) .

وإذ لم يقدرُوا على مقاومة غيرته بكل مواهبها، دسوا له
الدسائس واتهموه بالتجديف، وسلموه للمجمع لكي يرموه.

وفي أثناء المحاكمة والرجم لم تفارقه غيرته. فكان يشرح
الإيمان ويوبخ رؤساء اليهود على قساوة قلوبهم.

هذا هو اسطفانوس، الذي لم يكن رسولاً ولا أسقفاً، وإنما
كان شماساً. ولكنه شماس مملوء من الغيرة، يعمل بقوة جبارة
بالروح القدس الذي فيه...

وكانت لغيرته ثمار لم يحتملها أعداؤه.

وكانت له جرأة لم يستطيعوا أن يحتملوها أيضاً.

فحنقوا عليه، وسدوا آذانهم دون كلماته، وهجموا عليه بنفس
واحدة، وأخرجوه خارج المدينة ورموه (أع ٧ : ٥٤ - ٥٨). وصار
أول الشهداء في المسيحية...

مدة خدمة قصيرة، ولكنها مثمرة، وقوية...

ننتقل إلى مثال آخر في الغيرة، استفدنا جميعاً من خدمته

وقوتها، هو:

غيرته تمثل الثمر الكثير، على الرغم من عوائق أكثر.
بدأ من فراغ، وانتصر على كل الصعوبات.

جاء إلى مصر، إلى بلد لا كنيسة فيه، ولا شعب، ولا مسيحية، ولا أية امكانيات. بل كانت فيه العبادات الفرعونية بقيادة كبير الآلهة رع، والعبادات اليونانية بقيادة كبير الآلهة زيوس، والعبادات الرومانية بقيادة كبير الآلهة جوبتر. بالإضافة إلى اليهودية التي كانت تشغل حين من أحياء الأسكندرية، مع عبادات شرقية أخرى... مع الفلسفة التي تزخر بها مكتبة الاسكندرية الشهيرة... هؤلاء جميعاً تسندهم سلطة الدولة الرومانية بكل قسوتها.

وكانت غيرة مارمرقس أقوى من تلك المقاومات.

لم تكن له أية امكانيات مادية على الاطلاق، بل دخل مصر

بحذاء مقطوع من كثرة المشى على قدميه ... ولم يجد شعباً مؤمناً ،
فعمل على تكوين شعب مؤمن ...

واستطاع مارمرقس بغيرته على ملكوت الله ، أن ينشر المسيحية
في مصر ، وفي ليبيا . كما ساعد بولس الرسول في تبشير رومه ،
وكثير من بلاد أوربا . وأسس في الإسكندرية أول مدرسة
لاهوتية ، أعدت قادة للإيمان في الشرق كله . كما أنه كتب
الإنجيل الذي حمل إسمه ، وكان مصدراً للإيمان في العالم كله .

كانت غيرته كافية لكراسة مصر ، وكانت أكبر من مصر .

فانتشر الإيمان على يديه في أماكن متعددة . وكثرت أسفاره
لنشر الملكوت في أقطار أخرى . فاضطر إلى سياحة أسقف عام
لمساعدته ، يحل محله أثناء سفره . ذلك هو القديس انيانوس أول
خلفاء مارمرقس على كرسيه في الإسكندرية .

**وطبعاً ما كان ممكناً لأعداء الإيمان أن يهتموا غيرة
مارمرقس ونشره للإيمان .**

فقال إكليل الاستشهاد على أيديهم سنة ٦٨ م . وترك لنا إيماناً
راسخاً مازلنا نحن في ظلاله إلى يومنا هذا .

وبقى أن يقتفى أبناء مارمرقس آثار غيرته ، و يتتبعوا خطواته .
**ولا يقل أحد : أنا مستعد أن أخدم ، ولكن لا توجد
إمكانيات .**

لقد خدم مارمرقس بدون إمكانيات . بدأ من فراغ كما قلنا ،
وفراغ محاط بمقاومات ... ولم يكن يملك سوى غيرته . وهكذا باقى
الرسل .

لم يكن طريقهم سهلاً ولا ممهداً ، بل كان مليئاً بالصعوبات ،
إذ أنهم خدموا فى بلاد وثنية . واليهود كانوا ضدهم . وكذلك
الدولة الرومانية .

هم تعبوا ، ونحن دخلنا على تعبهم (يوحنا : ٤ : ٣٨) .

كما تعب المسيح من قبل ، والرسل دخلوا على تعبهم .

ونتيجة لهذا التعب كله ، كانت الكنيسة فى نمو مستمر .

حقاً إن للغيرة نتيجتين : تأسيس الملكوت ، وأيضاً غوه .

١٢- القديس أثناسيوس الرسولي

حقاً ما أصدق ما قاله القديس جيروم عن أثناسيوس وجهاده ضد أريوس والأريوسية ، وكيف استطاع أن يحول مجرى التاريخ ... قال :

مرّ وقت كاد فيه العالم كله أن يصبح أريوسياً ، لولا أثناسيوس ... !

بدأت المشكلة الأريوسية قبل أثناسيوس بزمن . ومن أجلها عقد البابا ألكسندروس (البطريك ١٩) مجعاً مكانياً حضره مائة أسقفاً من أساقفة مصر والخمس المدن الغربية . وحينما عقد مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥م ، كان أثناسيوس ما يزال شاباً ، وشماساً .

ولكن هذا الشماس الشاب شعر أن المسئولية ملقاة على عاتقه . وشعوره بالمسئولية كان مصدر غيرته .

كان في المجمع ٣١٨ أسقفاً يمثلون كنائس العالم المسيحي كله . وكان من بينهم بطاركة وعظام ورؤساء كنائس . ولكن أثناسيوس الشماس شعر أن الإيمان المسيحي كله أمانة في عنقه . فوقف يدافع عنه بكل حماس ، ويرد على كل حجج أريوس ببراهين لاهوتية أقوى منها . واستطاع أن يصوغ بنود قانون الإيمان المسيحي .

ولما صار أثناسيوس بطريكاً تصدى أيضاً للأريوسيين ، ووضع كتاباً ضدهم إسمه **Contra Arianos** (ضد الأريوسيين) .

وهو من أربعة أجزاء ، تناول فيه كل الآيات التي يعتمدون عليها ، ووضع التفسير السليم لها ، وردّ على فهمهم الخاطيء . كما وضع الكثير من المؤلفات ، في الدفاع عن الإيمان النيقاوى ...

وبسبب غيرته تعرض لاضطهادات كثيرة ...

فاتهمه أعداء الإيمان بتهم مريرة ، ودسوا له الدسائس عند الامبراطور ، ونفى عن كرسيه أربع مرات . ولكن غيرته لم تفارقه في أماكن منفاه ، بل كان في كل مكان ينفي إليه ، ينشر الإيمان

السليم، ويشرح العقيدة، ويرد على الأريوسية، ويعقد مجامع ضدها. وينتهي الأمر برجوعه إلى كرسيه، فيواصل جهاده لينفى مرة أخرى...

٤٥ سنة قضاها على الكرسي المرقسي في جهاد مستمر.

ومن أجل غيرته على الإيمان، أصبح عنواناً للإيمان بحيث أن الذي يريد أن يثبت صحة إيمانه، يقول «أنا على إيمان أثناسيوس». ولم تفتّر حرارة هذا القديس يوماً واحداً. بل كانت قوة الأريوسية تلهب غيرته بالأكثر، حتى ثبت الإيمان على قواعد سليمة.

وهذه الغيرة بدأت معه، منذ سنى شبابه المبكر، حيث وضع كتابين هامين هما:

كتاب تجسد الكلمة، وكتاب «رسالة ضد الوثنيين».

وضعهما وهو شماس شاب. ومع ذلك صار مرجعين هامين، ينتفع بهما كل جيل أتى بعده، حتى يومنا هذا...

ولم يكتف بالرد على الأريوسية، بل تتبع كل هرطقة...

وهكذا وضع أيضاً رسائله عن الروح القدس ، التي وضع فيها
 الإيمان السليم بهذا الأقوم الإلهي ...
 وصارت غيرة أثناسيوس وإيمانه وجهاده مضرب الأمثال ، حتى
 أنه لما اشتهر القديس ايلارى أسقف بواتيه في دفاعه عن الإيمان ،
 أسموه أثناسيوس الغرب ...
 نقول هذا ونعجب من الذين يتساهلون في نقاط كثيرة في
 الإيمان ، ومع ذلك يقولون إنهم أبناء أثناسيوس .

١٣- الأئمة يجب أن يكون حبيب جرجس

عاش في عصر مظلم ، لم يكن فيه وعاظ ، ولا أساتذة
 للاهوت . وحتى الايغومانوس فيلوثاوس ابراهيم الذي كان بقية
 نور في تلك الأيام ، لم تساعده صحته على إكمال رسالته ، وانتقل
 من عالمنا ...

وكان حبيب جرجس أول طالب التحق بالاكليريكية الحديثة
 سنة ١٨٩٣ ، ولم يكن بها مدرس للدين !!

وفي غيرة عميقة شعر حبيب جرجس أن الاكليريكية هي
مستوليته . فبدأ يدرس ، ويدرس زملاءه وهو طالب .

وتخرج ليتولى التدريس في الاكليريكية . وكان يقوم بتدريس
اللاهوت والوعظ ، ويضع الكتب الروحية . ووضع كتاب (اسرار
الكنيسة السبعة) ، وكتاب (الصخرة الأرثوذكسية) ، وكتاب
مارمرقس الرسول . وأخذ في اعداد مدرسين للدين .

وكان مبنى الاكليريكية وقتذاك لا يصلح . فشرح حبيب
جرجس أنها مستوليته أن يبنى لها مبنى .

وبكل غيرة ، بدأ يدعو لهذا الأمر ، ويطوف البلاد يجمع
تبرعات ، حتى اشترى أرض مهمشة الواسعة وبنى مبنى الدراسة ،
ومبنى الداخلية ، ومبنى معهد العرفاء ، وأسس المكتبة ، وبنى
كنيسة العذراء التي كانت كنيسة لطلبة الاكليريكية في أيامه ،
قبل أن تفتح للشعب ...

ولم تكن هناك في تلك الأيام مدارس للتربية الكنسية ،
فشرح حبيب جرجس أنها مستوليته أن يهتم بإنشاء مدارس
الأحد .

وشجع الكثيرين على المساهمة في هذا المجال . وبكل حماس أخذ التعليم الدينى يشق طريقه إلى الأطفال وإلى القرى . وصار هناك آلاف من المدرسين . وكان حبيب جرجس هو نائب رئيس اللجنة العليا لمدارس الأحد . أما رئيسها فى أيامه فكان قداسة البابا يؤنس التاسع عشر .

ولم تكن هناك مناهج لتعليم الدين فى المدارس . فشرع حبيب جرجس أنها مسئوليته الخاصة أن يضع كتباً منهجية لكل مراحل التعليم .

فوضع لذلك سلسلتين أحدهما (المبادئ المسيحية) والثانية (الكنز الأنفس) . ولم يترك التعليم الدينى معزواً شيئاً من المعلومات . بل طبع أيضاً الصور اللازمة . وأصدر مجلة (الكرامة) التى استمرت ١٧ عاماً كمدرسة متنقلة من بيت إلى بيت ، على مستوى رفيع . وهى أول مجلة قدمت لنا ترجمة أقوال الآباء القديسين .

كل ذلك لم يكن واجباً رسمياً ملقى على حبيب جرجس .

بل هي غيرته التي دفعته في كل هذه المجالات . غيرته التي بدأت معه وهو طالب ، ثم وهو مدرس ، ثم وهو ناظر للاكليريكية منذ سنة ١٩١٨ .

وبهذه الغيرة استطاع أن يقدم للكنيسة آلافاً من الوعاظ ومعلمي الدين ، ومئات من الخريجين لسيامتهم كهنة في كافة بلاد القطر .

غيرة حبيب جرجس كانت غيرة تمثل العمل الايجابي في عمقه .

لم يحدث إطلاقاً أنه انتقد الضعف والضياع الموجودين في عصره . وإنما كان إن وجد نقصاً ، يبحث كيف يعالجه ، دون أن يدين أحداً ... لقد كان رجل بناء ماهراً . حفر أساساً ووضع حجرين لبنائين : أحدهما هو الاكليريكية ، والثاني هو مدارس الأحد ... وجاهد حتى ارتفع البناءان ، وآوى إليهما أولاد الله .

هذه هي غيرة حبيب جرجس ، البناءة ، العمالة ، الإيجابية .

٤١- بعض آباء الرهبنة

نرى أن الغيرة المقدسة تملك حتى على آباء البرية القديسين الذين تفرغوا لحياة الوحدة والصلاة في البراري والمغائر. وكان يمكن أن يعتذروا بأنه ليس من طقس حياتهم السعى في المدن لانقاذ الخطاة. وبخاصة السعى لانقاذ الخطائيات من أماكن الفجور والدعارة. ومع ذلك فإن غيرتهم المقدسة كانت أقوى بكثير من هذا العائق. فذهبوا إلى أماكن لم يدخلوها إطلاقاً طول حياتهم. ولم يهتموا بالحفاظ على سمعتهم حينما ذهبوا إلى هناك، إنما كان كل اهتمامهم مركزاً في انقاذ نفس مات المسيح لأجلها، مهما كانت قد سقطت وتدهورت.

ولعلنا في هذا المجال نضع ثلاثة أمثلة من أشهر أمثلة التاريخ في الغيرة المقدسة.

١- مثال تخلص نفس الخطاة تاييس :

نشأت تاييس في الأسكندرية، وكانت جميلة جداً. وقد
أعثرتها اخلاق أمها الساقطة فتدهورت في حياة الفساد، حتى
عاشت حياة الدعارة في الأسكندرية، وكان المئات يسقطون
بسببها. وذاع خبرها في كل مكان، ووصلت قصتها إلى برية
شيهيت .

فامتلاً قلب القديس بيساريون بالغيرة المقدسة، ليس فقط
من أجل خلاص نفس تاييس، إنما بالأكثر لانقاذ الذين
يسقطون بسببها .

وذهب القديس في زي علماني إلى الأسكندرية، وإلى مكان
دعارة تاييس، وأمكنه أن يقودها إلى التوبة، فأحرقت كل ثيابها
وزينتها أمام الكل في ميدان عام، واقتادها القديس إلى بيت
للعداري، حيث عاشت حياة توبة، خلصت بها نفسها، وزالت
عثرتها .

وأعلن الله خلاص نفسها في رؤية أعلنها للقديس بولس
البيسط، وأعلنها هذا القديس لأبيه الروحي القديس الأنبا
انطونيوس الكبير...

٢ - مثال تخلص نفس القديسة بائيسة التي سقطت :

كانت بائيسة من أسرة بارة كثيرة الثراء في منوف . وقد ترك لها أبوها ثروة ضخمة ، أخذت توزعها على الفقراء والمساكين ، وعلى الأديرة والرهبان أيضاً ، حتى صرفت كل ما كان لها . وكانت على وشك التوجه إلى الحياة في البرية . وهنا حسد الشيطان برها ، وحاك حولها شباكه في مكر ودهاء ، وفي اغراء شديد ، في وقت كانت فيه في ضعف وفتور... والعجيب أنه نجح ، فسقطت ، وتطور بها الأمر أيضاً إلى بيت للدعارة !

وهنا ملكت الغيرة شيوخ برية شهيت المتألمين على سقوط هذه القديسة . وانتدبوا القديس يوحنا القصير لانقاذها ، فأطاع ...

فذهب إلى مكان دعارتها ، وهو يرتل قول المزمور « إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً لأنك أنت معي » (مز ٢٣) .

وقد تمكن القديس من قيادتها إلى التوبة ، وأخرجها من ذلك المكان لتذهب إلى البرية . وكانت توبتها صادقة جداً . وشاء الله أن يأخذ نفسها في تلك الليلة . ورأى القديس يوحنا القصير روحها

الطاهرة يحملها الملائكة في عمود من نور إلى السماء . وتحتفل الكنيسة بعيدها في يوم ٢ مسرى .

٣ - مثال تخلص مريم ابنة أخى القديس ابراهيم المتوحد

وهذا القديس ولد في مدينة الرها في بلاد ما بين النهرين . وقد توحد هناك . ثم دفعوا إليه بالطفلة مريم بعد وفاة والديها . فرباها معه ، حتى كبرت فتوحدت في قلاية قريبة من قلايته .

ونمت هذه الفتاة في حياة القداسة ، إلى أن جاء يوم نصب لها العدو شباكاً ، فسقطت مع أحد الأخوة الذين كان يتردد على القديس ابراهيم يطلب مشورته . وبعد السقوط أوقعها الشيطان في اليأس والحزى ، فهربت . وانتهى بها الأمر إلى بيت للدعارة ..

ولما اكتشف القديس ابراهيم أمرها تملكته الغيرة لانقاذها .

وعرف مكانها فذهب إليها متنكراً وساعده القديس مارافرام السريانى بصلوات حارة . وانتهى الأمر بانقاذها واخراجها من ذلك المكان ، حيث عادت إلى عبادتها وإلى حياة الانسحاق والتوبة ، وشرفها الله بمواهب الشفاء في آخر أيامها دليلاً على قبول توبتها .

فهرست

صفحة

| | |
|--|----|
| الفصل الأول : الغيرة المقدسة وكيف تعمل | ٧ |
| الغيرة نار تلتهب | ٨ |
| يصلى ويبكي ويكثب | ١٤ |
| العمل الإيجابي | ١٨ |
| الصراع مع الله | ٢٠ |
| تشجيع الخطاة | ٢٤ |
| التدرج معهم | ٢٩ |
| الشركة مع الله | ٣٣ |
| الفصل الثاني : دوافع الغيرة | ٣٧ |
| لأجل الله وملكوته | ٣٨ |
| حب للناس وشفقة عليهم | ٤٠ |
| مثال بولس الرسول | ٤٣ |
| لا تقف تتفرج | ٤٥ |

| | |
|-----|---|
| ٤٦ | قيمة النفس الواحدة |
| ٤٨ | أهمية تخليص النفوس |
| ٥٤ | عوائق أمام الغيرة |
| ٦١ | الفصل الثالث : شروط الغيرة المقدسة |
| ٦٢ | غيرة حسب المعرفة |
| ٦٧ | تصحبها سيرة صالحة : |
| ٧٢ | بناءة وليست هدامة |
| ٧٦ | غيرة قوية وشجاعة |
| ٧٩ | غيرة مشمرة ونشيطة |
| ٨٧ | الفصل الرابع : أمثلة من الغيرة |
| ٨٨ | ١ - الله نفسه |
| ٩٢ | ٢ - الملائكة |
| ٩٤ | ٣ - موسى النبي |
| ٩٦ | ٤ - فينحاس |
| ٩٧ | ٥ - الفتى داود |
| ١٠٠ | ٦ - ايليا النبي |
| ١٠٢ | ٧ - اشعيا النبي |

- ٨ - الأثنا عشر رسولاً ١٠٣
- ٩ - القديس بولس الرسول ١٠٥
- ١٠ - القديس اسطفانوس ١١٠
- ١١ - القديس مرقس الرسول ١١٢
- ١٢ - القديس أثناسيوس الرسولي ١١٥
- ١٣ - الأرشيدياكون حبيب جرجس ١١٨
- ١٤ - بعض آباء الرهبنة ١٢٢

فصل الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله واحد أمين

هذا هو الكتاب الثاني من
مجموعة الكتب الخاصة باجتماعات
الخدام ونصول اعداد الخدمة .

نشرنا من قبله كتاباً عن
(التلمذة) ، ونرجو أن نشر بعده
كتاباً عن (روحانية الخدمة) ..

وهذا الكتاب يمدتكم عن
الغيرة وحرارتها ومفعولها ، وعن
دواعي الغيرة ، وشروطها ، وأمثلة
للغيرة من الكتاب ومن سير
القديسين . كما يفرق بين الغيرة
المقدمة والغيرة الخاطئة . ويشمل
موضوعات أخرى عن الخدمة .

تابع باقي السلسلة إلى اللقاء
في الكتاب الثالث .